بسم الله الرحمن الرحيم

قسم اللغة العربية

"السَّهْم الذَّهبىّ"

فى

"البحث اللغوى :مفهومه ، وكيفيته ، ومناهجه

الشرقة الأولى .... علم اللغة العام

اختيار

الدكتور/ عاطِف فكَّار

أُستاذ النَّحو والصَّرف والعروض . . ورئيس قسم اللُّغة العربيَّة

القائم بالتدريس د/ أبو الحمد محمد أحمد الأفيونى

السِّيرة الذَّاتيَّة

أ.د/عاطف فكَّار

أُستاذ النّحو والصّرف والعرُوض

رئيس قسم اللغة العربية

[السِّيرة الذَّاتيَّة للدكتور / عاطف فكار

- **الاسم** : عاطف مُحمَّد كمالى فكَّار ..... وشهرته : **الدكتور/ عاطف فكّار**
- **تاريخ الميلاد** : ٢٦ /١١ /١٩٦٢م ... أبوتشت / السليمات.
- **الحالة الاجتماعيّة**: مُتزوِّج ، وأعُولُ :
- الدكتور/ مُحمَّد عاطف فكَّار[طبيب نساء وولادة : بمستشفى قفط التعليمى].
- الدكتور/ وليد عاطف فكَّار[طبيب نساء وولادة : بمستشفى قنا العام].
- كـ/ وفاء عاطف فكَّار[بكالوريوس علوم ميكروبيولوجى بقنا+ دبلومة تحاليل ، تسجيل ماجستير في البكتريا].
- **تاريخ التعيين بالتعليم العام والأساسى** بأبوتشت: ١٥/١١/١٩٨٣م.
- **تاريخ التعيين بالجامعة**: ١٥/١٢/١٩٩٩م.
- أُستاذ مساعد في ٢٤/٤/٢٠١١م.
- أُستاذ النَّحو والصَّرف والعَرُوض فى ٣٠ /٥ /٢٠١٦م.
- **الوظيفة الحاليّة**:أُستاذ النحو والصرف والعروض،رئيس قسم اللُّغة العربيَّة فى كليَّة الآداب بقنا . جامعة جنوب الوادى
- **المُؤهلات العلميّة** :
- شهادات التَّعليم العام قبل الجامعىّ[ابتدائى، وإعدادى، وثانوى عام] بأبى تشت.
- ليسَانس الآداب[قنا] جامعة أسيُوط،عام ١٩٨٣م" ثانى الدُّفعَة.
- والدبلُوم العَام فى التربية[قنا]،جامعة أسيُوط ،عام١٩٨٩م.
- والتمهيدىّ للماجستير[آداب قنا]،جامعة أسيُوط،عام١٩٩٢م.
- والماجستير[آداب قنا]،جامعة أسيُوط ،عام١٩٩٤م بتقدير:"مُمتاز".أ.د/ محمود فهمى حجازى ، أ.د/ عبده الراجحى
- والدكتوراه فى علم اللُّغة والنَّحْو والصَّرْف[آداب قنا]، جامعة قنا،١٩٩٦م، بتقدير[مرتبة الشَّرف الأُولى"] على يد

أساتذتى العلماء الأجلاء:

- أ.د/ البدراوى زهران . و أ.د/ عبد الصَّبُور شَاهين . و أ.د/ كَمَال محمد على بِشْر

الفصل الأول

(مفاهيم ، ومصطلحات)

[اللغة ، والمنهج ، والبحث]

مفاهيم ومصطلحات

تقتضي الضرورة أن نجد أو نعرف معاني المصطلحات الأربعة التي نحن بصددها..

مفهوم مصطلح [اللغة] لغة واصطلاحاً

ـ كلمة (لغة) عربيّة أصيلة ، أم مُعرّبة ؟[1].

ذكر أهلُ اللغة، وأصحابُ المُعجمات أنَّ كلمةَ [لُغة] عربيَّة أصيلة مُشتقَّة منَ الفعل [لَغِى/ يلغَى/ لُغوَة] بكسر العين فى الماضي ، وفتحها فى المضارع ، أي : لَهَجَ ، والجمع : لُغات، ولغون ، كقولهم : كرات ، وكُرون . واللغو : يعنى النطق ، واللغا : يعنى : الصوت .

- **وعلى هذا فإن كلمة اللغة واشتقاقاتها تدور حول معنى الأصوات الإنسانيّة ، وعليه فإن (علم اللغة) ، أو (فقه اللغة) يعنى : فهم الأصوات، وإدراك خصائصها ، وهو العلم الذى يتناول مفردات اللغة ، وتراكيبها ، وخصائصها ، والأطوار التى مرت به[2].**
- **وقيل (لغة) : مشتقَّة منَ الفعل:[لغا/ يلغُو/ لغوًا] ، أىْ : تكلَّمَ ، والأصلُ : لُغْوَة : بضمّ ، فسكُون، على وزن: فُعْلَة، ثُمَّ حذف لام الكلمة، وعوض عنه بالتَّاء المربُوطة، فصَارتْ : لُغَة**

وقيل : لُغة مُعرَّبة منَ الكلمة الإغريقيَّة[logs] ... وعرَّبها العرب إلى [لوغوس] ، بمعنى : الكلام واللُّغة ؛ وذلك لوجود تشَابه كبير بين الكلمة العربيَّة [لوغوس] ، والكلمة الأغريقيَّة [logs]..

جاء التعبير القرآني بلفظ [لِسَان] ثمان مرَّات ، ولَمْ تأتِ لفظة [لُغَة] فى القرآن الكريم ولو مرَّةً واحدةً كما فى قوله تعالى:" وما أرسلنا منْ رسُولٍ إلاَّ بِلِسَانِ قومِه "إبراهيم/٤..وقوله تعالى: "بلسَانٍ عربي مُبينٍ"

وذلك لما يأتى :

أ ـ وجود تشابه كبير بين الكلمة العربيّة والكلمة الأعريقيّة .

ب ـ تعبير القرآ بلفظ (لسان) نحو ثمانى مرات ، وليس بلفظ لغة ، كما فى قوله تعالى : (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه) إبراهيم ٤ ، أى : بلغة قومه[3] ، ومنه قوله تعالى :

---

[1] ـ انظر : دراسات فى فقه اللة ، د/ ميمى الصالح ، ص ٢١ ،٢٢ ، ط١٩٨٩ م ، دار العلم ، بيروت.

[2] ـ الخصائص ، لابن جنّى ٣٣/١ ، وأساس البلاغة ، للزمخشرى ، مادة (ل.غ .و) ، والمصباح المنير ، وتاج العروس مادة (ل . غ . و).

[3] يفرق العالم اللغوى (دوسوسير) بين مصطلحى (اللسان ، والكلام ، بقوله اللسان مجموعة من الصّور اللفظيّة المختزنة في الذهن الجماعى ، ، وأنها ذات قيم موحدة عند جميع الأفراد، على حين أن الكلام أمر فردى يكون المادة التى يبنى منها اللسان ، وذلك ينوع من الاتفاق الجماعى ، بمعنى : أن اللسان أداة للتفاهم الجمعى .. والكلام نشاط فردى لغوى يعالج الحياة الواقعيّة للفرد ، وهو وحده الذى يعبر عن الواقعية والعاطفية ، أما اللسانُ فليس سوى إمكانات تعبيريّة ، وقد عارضه في ذلك تلميذه (شارل بالى) الذى يرى أن أُستاذه قد تغالى في اعتبار اللسان أمرًا ذهنيًّ ناتجًا عن العقل الجمعى ، ويقول أُستاذى د/ عبد الصبور شاهين (رحمه الله) :"وعلى أى حال فليس من المقبول أن نفصل فصلا صارمًا بين اللسان والكلام ، كما أنه ليس من صواب المنهج أن ندمجهما إدماجًا تامًا ؛ فإن دراسة الكلام تقيد اللسان ، كما أن دراسة اللسان تقيد الكلام ، وخير لى أن أتناولهما بمنهج متكامل يبرز لأعيننا الحقيقة اللغويّة كما ينبغى تناولها .

(بلسانٍ عربيٍّ مبين) على حين أن لفظ اللغة لم يرد فى القرآن الكريم ولو مرة واحدة ؛ ممّا يرجح سبق اللسان للغة فى الاستعمال العربى القديم .

ج ـ عدم ورودها فى الشّعر الجاهلي ، أو فى الأدب العربي المنثور قبل عصر الترجمة من الأغريقيّة .

ـ أي : أن كلمة (لغة) لم ترد مستعملة فى كلام عربي يعتد به ، ولم يستعملها العرب الخلص فى كلامهم ، وإنما كانوا كغيرهم من الأُمم السّامية ، بل كأكثر أمم الأرض يستعملون كلمة (لسان) للدلالة على اللغة .

اللغة عند علماء اللُّغة ، والاجتماَع ، والنفس ، والمنطق ، والفلسفة :

لم يقتصر الاهتمام باللغة على علمائها ، بل إن هناك علماء غيرهم ـ كثيرين ـ اهتموا باللغة لاتصالها بقضاياهم العلميّة ، ومنهم علماء الطبيعة ، والتشريح ، والرياضة ، والتاريخ ، وعلم النفس، والمنطق، والفلسفة، والاجتماع ، وغيرهم قديمًا وحديثًا ، ومن ثمّ فقد خصّها الباحثون والدارسون ، بالاهتمام والدراسة ؛ لذا فسنعرض لمفهومها ، وبيان حقيقتها .

عرّفها " ابنُ جنّى (ت ٣٩٢ هـ) " بأنها " أصوات يعبِّر بها كلُّ قومٍ عنْ أغراضِهِمْ [٤]"، ويشمل هذا التعريف مادة اللغة (طبيعتها) فهى رموز صوتيّة أحلها الإنسان بموهبته الخلاّقة محل الخواطر والأفكار ، وذلك لأن الرمزيّة هى العمل الأساسى فى الفكر الإنسانى ، كما يشمل عرفيّة اللفظ ، ويشمل اجتماعية اللغة ، حيث تنشأ اللغة بالمجتمع وتحيا به ، كالنبات يحي ويثمر تبعًا للتربة ، ويشمل وظيفة اللغة فى أنها أداة للتعبير عن أغراض أفراد المجتمع والجماعة ، وقد نقل السيوطي ، وابن منظور ، والشريف الرضى ، وابن خلدون هذا التعريف ، وهذا التعريف يتفق مع الدرس اللغوي الحديث الذى رأى أن اللغة أصوات ، وحددتها دائرة المعارف البريطانيّة والأمريكيّة بأنها " نظام من الرموز الصوتيّة ، أي أنها هيئة ، أو شكل ، أو تركيبة خاصّة تتفق عليها الجماعة اللغوية المعيّنة .

فاللُّغةُ : أداةٌ للتعبير عنِ الأغراض والأفكار العقليَّة، والعواطف، والمعاني النفسيَّة ، والرغبات ، والمطالب الحيويَّة ، والاحتياجات الإنسانيَّة فهي وسيلة التفاهم المُعبِّرة عنْ أفكاره واحتياجاته "والأغراض هي المعاني والدلالات التي يتناقلها الناس ويعبرون عنها بالأصوات والألفاظ ، فهي وسيله التعبير عن الأغراض الكلامية " ولما كانت اللغة تتكون من دلالات وألفاظ حظيت بجانب كبير من عناية العلماء، فنجدهم درسوا هذه الألفاظ ودلالتها ، فدرسوا الكلمة منفردة وموقعها في الجملة ومعناها عند تقدمها أو تأخرها.

ـ انظر: علم اللغة ، د/ عبد الصبور شاهين ، ص١ ، ط٥ ، ١٤٠٨ م / ١٩٨٨ م ، مؤسّسة الرسالة .

٤ ـ الخصائص ، لابن جنى ٣٣/١ ، تحقيق الشيخ / محمد على النجّار ، ط دار الكتاب العربى ، بيروت .

ـ ويعرفها الدكتور / إبراهيم أنيس [٥] بأنها نظام عرفي لرموز صوتيّة (الأصوات) يستعملها الناس فى الاتصال بعضهم ببعض "، وعرفها " دوسوسير " السويسرى بأنها حصيلة اجتماعيّة لملكة الكلام ومجموعة من الأعراف الى أقرّها المجتمع .، وبأنها " دراسة اللغة فى ذاتها ، ومن أجل ذاتها أى دراسة اللغة التى يتحدث بها الناس بالفعل دون تغيير من طبيعتها ونظمها ـ دراسة موضوعيّة للكشف والوصُول إلى حقيقتها دون تصحيح أو تعديل أو تقويم ؛ لأنها ليست من مهام الباحث "

وعرّفها " سابير " الأمريكى بأنها " وسيلة إنسانيّة خالصة لتوصيل الأفكار والعواطف والرغبات عن طريق نظام من الرموز التى تصدر بطريقة إرادية [٦] .

ـ وعرّفها (هنرى سويت " الانجليزى بأنها التعبير عن الأفكار بواسطة الأصوات الكلاميّة المؤتلفة فى كلمات

ـ وعرّفها العالم الفرنسى " أنريه مارتينيه " بأنها " أداة اتصال يحلل بها الإنسان، ويبرز تجاربه فى وحدات كلاميّة ذات مظهر صوتى ، ومحتوى دلالى .

ـ وعرفها المحدثُون بأنها " رموز ، أو علامات صوتيّة اصطلاحيّة ، تستعملها الجماعات الإنسانيّة فى التعبير عن المعانى وغيرها من شئون الحياة "[٧].

ـ وقيل : إن اللغة وعاء للأفكار العقليّة، أو المعاني النفسيّة، ووسيلة للتعبير عن مطالب الإنسان الحيويّة .

ـ لذا نعتبر تعريف ابن جنّى تعريفًا دقيقًا وافيًا مشتملاً على حقائق شتى ، منها : أن اللغة أصوات ، إنسانيّة ، إراديّة ، وظاهرة اجتماعيّة ذات وظيفة اجتماعيّة ؛ لأنها تنمو فى أحضان المجتمع ، ويعبر بها كل قومٍ عن أغراضهم الماديّة والمعنويّة ، كل ذلك جعل ابن جنّى فى مقدمة العلماء الباحثين عن اللغة وقضاياها المختلفة .

ـ وأن هذا التعريف يتفق مع تعريفات المحدثين للغة ، حيث إنهم عرَّفُوا اللغة تعريفًا قريبًا من تعريف ابن جنى ..ولقد أحسّ الدارسون للحضارات بأهمية اللغة لفهم الثقافة، وذلك لأن أى نظام لغوى تعبير عن نظام إدراك جماعة من الجماعات لبيئتها ولنفسها ، وإذا لم يكن هذا التعبير كاملاً ، ومن ثمَّ فلا يستطيع أن يفهم حضارةً ما حقَّ الفهمِ من يجهل وسيلتها اللغوية فى التعبير .

ـ اللغة وعلماء الفلسفة والمنطق :

---

[٥] . انظر : اللغة بين القومية والعالميّة ، د/ إبراهيم أنيس ، ص ١١ ، دار المعارف بمصر ، ط ١٩٧٠ م

[٦] . انظر: اللغة بين الفرد والمجتمع ، د/ محمود السعران ، وعلم اللغة مقدمة للقارئ العربى ، ص ٦٠ وما بعدها ، ومن أُسُس علم اللغة ، د/ محمد يوسُف حبلص ، ص ٢١ ، ٢٢ ، ط ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

٧ انظر : دراسات فى اللغة العربيّة ، د/ فتحى محمد جمعة ، ص ٣ ، ط ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م

. يرى الفلاسفة والمناطقة ، وعلى رأسهم "جفونز" أن اللغة وسيلة لتوصيل الأفكار، والعواطف ، والرغبات ، وأنها مساعد آلى للتفكير ، وأنها أداة للتسجيل والرجوع ، وأراد بذلك لغة الكتابة لأن الشخص يكتب ، ويسجل أفكاره، وآراءهُ ،ثم يرجع إلى ما سجل وقت الحاجة إليه.

. وفى فهم ذلك صعوبة؛ فاللغة ليست مستودعًا للفكر المنعكس، أو وسيلة لتجسيم الفكر؛ فاللغة وسيلة للتفاهم بين أفراد المجتمع ، وتوصيل الأفكار ، وحلقة فى سلسلة النشاط الإنساني المنتظم ، أى أن اللغة جزء من السلوك الإنساني ، كما أن استعمال اللغة قد يكون للتسلية ، أو الترفيه، أو النظر فى أُمور تخصُّهم فى إدارة أعمالهم ، وشئونهم ، وهذه الأشياء لا تدخل ضمن تعريفهم ؛ فاللغة لا تستعمل للتعبير عن الأفكار بقدر ما هي وسيلة للتعاون والترابط الاجتماعي ، كقولك للشخص :" كل عام وأنتم بخير " ، و" كيف حالك " ؟ ، فلا يقصد بذلك نقل الأفكار بقدر تكوين وإنشاء علاقة اجتماعيّة بينها .

اللغة هي ظاهرة عقلية عضوية نفسية اجتماعية تميزه عن غيره من الكائنات الحية ، وتتألف بنية هذه الظاهرة من أصوات تنظم في كلمات تكون الجمل لتؤدي الدلالات المختلفة .

واللُّغةُ : وعاء التجارُب الشَّعبيَّة ، والعَادات والتقاليد، والعقائد التى تتوارثها الأجيَال، وهى سجل تاريخ الشعب، ترتقى برقيِّه، وتنحطُّ بانحطاطه ؛لأنها ظاهرةٌ اجتماعيَّةٌ تنمو فى أحضان المُجتمع وتربط بين أفراده ، وتجعل منه وحدةً مُتماسكةً فى عاداته ، ومعاملاته .

والواقع أنه لا توجد لُغة بدُون وجُود مُجتمع ، ولا توجد لُغة مُنفصلة عنْ جماعة إنسَانيَّة تستخدمها وتتعامل بها فى علاقاتها وعاداتها فهي حدّ فاصل بين[شعب وشعب]،و[أُمَّة،وأُمَّة] ، و[حضارة وحضَارة] ؛ فهي ظاهرة اجتماعيَّة مكتسبة تنمُو وتتطوَّر معَ المُجتمع ، وتؤثِّر فيه قوَّةً ، وضعفًا

بقدر ما هى وسيلة للتعاون والترابط الاجتماعي ، كقولك لشخص : [كلّ عام " وأنتم بخير] ، وكيْفَ حالُكَ ؟

. فلا يقصد بذلك نقل الأفكار بقدر تكوين وإنشَاء علاقة اجتماعيَّة بينها..

وعرفها علماء الاجتماع بأنها " نظام من رموز عرفيّة ، يتعامل عن طريقها أعضاء المجموعة الاجتماعيّة المعينة، وهى الأداة الرابطة بين أفراد المجتمع، ووسيلة التفاهم المعبرة عن أفكاره واحتياجاته ، وتجعل منه وحدة متماسكة ، وهى وعاء التجارب الشعبيّة ، والعادات ، والتقاليد والعقائد التى تتوارثها الأجيال واحدًا بعد الآخر .

اللُّغة ظاهرة: إنسانية اجتماعية، مكتسبة منَ المحيطين بالإنسان ،وعرفيَّة تعارفتْ عليها الجماعة اللُّغويَّة، واللغة رُمُوز تستخدم فى الاتِّصال ، ونقل الأفكار ، كالصفير، والحركات ، وصوت مدفع الإفطار ، وأجراس

الكنائس، وصوت القطارات والسيَّارات، وإشَارات المرُور، والألوان البيضاء : للفرح ، والسوداء للحزن ، واللغة مُتغيِّرة لعوامل جغرافيَّة ، وجنسيَّة ، ونفسيَّة، وتغير ثقافي ، وتطور لُغويّ ، **كقولك** :

[ذئب/ ديب ، ذيل/ ديل ، ثلاثة/ تلاتة، الذى/ اللى ميكتبش، ولد/ ود ، هيكتب، الهواء/ الهوا]

واللغة المنطوقة أسبقُ منَ المكتُوبة لحاجة البدائي لها ، وينظر إليها عن طريق الفم والأُذُن ، بينما اللغة المكتوبة وليدة الحضَارة ، وبالقلم .

والإنسان بطبعه مدنىّ، محتاج للغة؛ لأنَّ من طبيعته البحث والاستطلاع، ووصف حقائق الموجُودات ووضع القوانين ، وتشخيص الظواهر ، وألفته بالآخرين واجتماعه بهم ، وتصارعه معهم باعتبار الإنسَان أرقى الكائنات المخلُوقة بما ميَّزهُ اللهُ من نعمة العقل .

وترتبط اللغة باستيطان البشر لأرضٍ مَا ، واسعة أو ضيِّقة ، ثمَّ انتشارها وامتدادها ؛ حيثُ ينتشرُون جغرافيًّا، كما أنَّ الإنسَان بطبعه الاعتزاز بلغته يتعصَّبُ تعصُّبًا قوميًّا لها ، كنقل الأُمويين دواوينهم إلى العربيَّة، وتطهير الألمان للغتهم منَ الألفاظ الفرنسيَّة الدخيلة، وإبعاد تركيا الألفاظَ العربيَّة عن لغتها ، ومحافظة بولندا على لغتها فى الأُمُور الرسميَّة .

ولمْ يكن انتشار اللغة، أو كثرة استعمالها فى المحافل الدوليَّة دليلاً على رُقيِّها، بلْ تنتشر اللغة نتيجة للغزو والفتُوحات ، وسيطرة المُستعمِر على هذه البلدان فتتأثَّر الشُّعُوب المستعمرَة بلغةِ المُستعمِر[كالفتح العربي لبلاد فارس ، ومُصَارعة اللغة الفارسيَّة] ، و[فتح بلاد الشَّام ، ومُصَارعة اللغة الرُّوميَّة] ،و[فتح مصرَ ، ومُصَارعة اللغة القبطيَّة] ، واقتصار اللغة الأصليَّة على أداءِ المراسم والعبادات فى الكنائس ، والأديرة .

واللغة أيضاً وسيلة لنقل الأفكار،ووسيلة للهو والتسلية،والبهجة والمتعة والتعبير عنِ الحزن والسُّرُور والانفعالات ،كمَا فى شرح المدرس للدرس، أو مرافعة المحامي لموكِّلِه، كمَا أنها وسيلة للترابط الدولي والقومي ، كجامعة الدول العربيَّة، واتِّحاد الدول الناطقة بالفرنسيَّة، ودول الكومنولث "..

ـ **واللغة من خصائص الإنسان** وحده دون سائر المخلوقات ، رغم ما أكدته البحوث العلميّة الحديثة من وجود تفاهم بين الحيوانات ، والحشرات ، والطيور ، كما ورد فى القرآن الكريم على لسان النملة والهدهد، إلا أن اللغة الإنسانيّ تتميز عن ذلك بأنها نظام يمنحه العقل لجهاز النطق الإنسانى متمثلاً فى أعضائه : (الحنجرة ، واللسان ، وفراغ الفم ، و..)، وهى أعضاء محدودة الحجم والأوضاع تنتج مجموعة محدودة من الأصوات .

ـ **نعم**، كان للحيوان الأعجم إشارات ورموز استخدمها كوسائل للتفاهم بين جماعاتها، وكان للطيور مثلها ، ولكن الإنسان هو أرقى هذه الكائنات حيث كان ... بما ميزه الله تعالى من نعمة العقل ، فقد أصدر

الأصوات السّاذجة ، ثم ارتقت وأخذت صورًا وأشكالاً تبعًا للظروف البيئيّة ، والتفكير الإنسانى حتى استقرت فى هذا الوضع

- واللغة كالكائن الحى مرت بمراحل متعدّدة ، ينبغي أن نسلم بتطور اللغات ونموّها ، كما ينبغي أن نسلم بأن كثيرًا من اللغات قد ماتت تحت وطأة أقدام الزمن المندفع إلى الأمام بلا توقف ..

- وترتبط اللغة باستيطان البشر لأرض ما ، فيكون نموها متوقفًا على مدى سعة ، أو ضيق هذه الأرض ،

وعلى قوّة ونفوذ وقدرات هؤلاء البشر على الانتشار[٨] .

فمثلاً اللغة العربيّة : هى لغة تُنسب إلى مجموعة من الناس تسكن منطقة جغرافية معينة، ويسمّى أهلها بالعرب ،وتحتل المرتبة السادسة على مستوى العالم من حيث عدد الناطقين بها ، وكان من السهل مضاعفة هذا العدد لو أخلص العرب لديهم ، وتعصبُوا للغتهم كما فعل أسلافهم من جهود مخلصة لنشر هذا الدين وهذه اللغة، وإلى جانب اللغة العربيّة يوجد فى العالم نحو (ثلاثة) آلاف لغة منطوقة، بخلاف اللهجات وكل لغة لها جمهورها المستخدمون لها ، ولها مساحتها التى تسود فيها .

. والواقع أن هذه التعريفات السّابقة ، كتعريف القدماء(ابن جنّى، وابن خلدون) ، وتعريفات المحدثين (سابير ، ودى سوسير ، ود/ إبراهيم أنيس) قد حددت إلى حدٍّ كبيرٍ طبيعةَ وماهيةَ اللغة وأهمَّ خصائصِها ، فهي جميعها تؤكد أن اللغة ظاهرة إنسانيّة اجتماعيّة مكتسبة ، فى شكل نظام عرفي من الرموز الصوتيّة ذات المعنى ، تستخدم . غالبًا . أداة للاتِّصال بين أفراد جماعة لغويّة معيّنة .

- اللغة عند علماء الأحياء والتشريح :

. أما عند هؤلاءِ فقد عدّوها كائنًا عضويًّا ، وذهب بعضهم إلى أن علم اللغة بذاته علم بيولوجي ، وإذا كانت اللغة بما لها من نفوذ قوى ، فقد جذبت كلّ هؤلاء وغيرهم إلى الوقوف أمامها ، ومحاولة الإفادة من طبيعتها ونظمها فى ميادين المعرفة المختلفة ، فإنها مع كلّ هذا لم تكشف عن كلّ أسرارها إلا في دراسة خاصّة بها تدرسها بذاتها ولذاتها[٩].

"حاجة الإنسان إلى اللغة "

---

[٨] وأقصد بالأرض . هنا . البيئة ، وهى الدائرة الجغرافيّة والبشريّة التى تدور فيها لغة من اللغات ، وتعيش فى محيطها ، وتتأثّر بها أيّة لغة ، ولا ينقض أن هذه اللغات لها أرض أولى زحفت منها إلى آفاق العالمين ، كما لا ينقض ذلك وجود بعض اللغات ممتدًا لمساحات أكبر ومسافات أوسع كما هو واقع مع اللغات ، كما : الصينية ، والانجليزيّة ، والروسية ، والأسبانية ، والهنديّة ، والعربيّة ، والبرتغاليّة ، والألمانية ، واليابانيّة ، والفرنسيّة ، والإيطالية ، والماليزيّة مرتبة وفقًا للدراسات الإحصائيّة التى أوضحت أن الأُمم المتحدة تعتمد ست لغات فقط ،هى: الانجليزيّة، والفرنسيّة ، والروسية ، والأسبانية ، والإيطالية ، والعربيّة ..

([٩]) . انظر : فقه اللغة ، د/ عبد الله ربيع ، ص ٢٢ وما بعدها ، ومحاضرات فى فقه اللغة العربيّة ، د/ محمد علام)

احتاج الإنسان هذه اللغة يتعامل بها فاستقرت في تلك الأصوات المألوفة لكل مجتمع بشري ؛ لأن من طبيعة الإنسان الاستطلاع والبحث ، ووصف حقائق الموجودات ، ووضع القوانين ، والقيام بتحليل أعضاء جسمه ووظائفها ، وتشخيص الظواهر الفسيولوجية والبيولوجية ، كذلك اهتم ببحث لغته ، لما عرفه من أهميتها ، والحفاظ على مجتمعه ، وعدم الاستغناء عن جماعته والإنسان قيل عنه : مدني بطبعه ، أي أنه لا يستغنى عن أهله ، بل يميل إلى الألفة والاجتماع مع بني جنسه؛ لذا فقد أدرك أهمية اللغة في تحقيق هذه الغاية، كما أدرك أهمية دراسة حقيقتها وأسباب انتشارها ، وانقسامها،وعوامل بقائها وتطورها وظواهرها وضعفها وقوتها،

وصراعها مع اللغات المجاورة .

❁ وهنا نلحظ اعتزاز كل طائفة بلغتها فتزعم كل قومية بأن لغتها أولى اللغات في العالم(١٠)

والحقيقة أن هذه المزاعم نابعة من تعصب قومي نابع من اهتمام هذه الشعوب والقوميات بلغاتها ، وقد هبت لدراستها ؛ لتكشف عن سر بقائها واستمرارها .

وأعتقد أن انتشار اللغة ليس دليلًا على رقيها ، فليس صوابًا أن نقول بأن اللغتين : الإنجليزية أو الفرنسية هما أرقى اللغات لسعة انتشارهما في مناطق كثيرة من العالم ، أو لكثرة استعمالهما في المحافل الدولية ؛ وذلك لأن انتشار هذه اللغات يعود للغزو ، ولسيطرة هذا المستعمر على بلدان عديدة نشر الاستعمار فيها لغته، فتأثرت هذه الشعوب المستعمرة – بفتح الراء– المغلوبة – بلغة الغازي، تاركة لغتها الأصلية للمرض والموت(١١) .

---

(١٠) فقد زعم العبريون أن اللغة العبرية هي الأولى التي تكلم بها الإنسان في بدء وجوده التاريخي .)
وزعم العرب أن لغتهم العربية هي أولى اللغات .
وزعم الأتراك أن التركية هي صاحبة السبق على جميع اللغات .
وعالم سويدي يقرر أن " آدم " كان يتكلم السويدية ، وأن الحية التي أغرت + حواء كانت تتكلم الفرنسية
وباحث ألماني يقرر أن لغة " آدم " كانت الألمانية
وباحث أخر يرى أن الآرمية هي الأصل .
وزعم آخر أن الصينية هي أقدم الغات .
وقيل : إن لغة " آدم " كانت العربية ، ولما بعد العهد صارت سريانية
وكله يغلب عليه التعصب لإعلاء قومية بعينها .
انظر : اللغة بين الفرد والمجتمع – د/ محمود السعران – ٣٠/١.

(١١) فمثلا : تسجل كتب التاريخ أن إنجلترا تعرف بأنها الأمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس ، وما ذلك إلالاتساع رقعة البلاد التي غزتها واستعمرتها فالغزو وما ينجم عنه من سيطرة بعض الشعوب بقوتها وثقافتها على شعوب أخرى ، كان من أهم أسباب انتشار اللغات ، أو انكماشها ، وصراع اللغات بعضها مع بعض .

ونشاهد ذلك أيضًا – حين فتح الفاتحون العرب – الأقطار المحيطة بهم ، فصرعت العربية الفارسية في بلاد فارس ، والرومية في بلاد الشام ، والقبطية في مصر، واقتصرت هذه اللغات على أداء المراسم والعبادات في الكنائس والأديرة ، بالإضافة إلى ذلك نظام اللغة وجوهرها ، وقواعدها المعجمية والنحوية والصرفية والدلالية والاشتقاقية .

لأن اللغة : نظام صوتي يتم من خلالها التعرف على مجموعة الأصوات المفردة في لغة ما ، أو في لغة معينة ، ويتكون النظام الصوتي من مجموعة من الوحدات الصوتية (الفونيم) وهي أصغر وحدة صوتية ، كالباء والتاء ، والثاء و .... وعن طريقها يمكن التفريق بين المعاني[١٢]

وهي نظام صرفي يتم من خلاله التحكم في عملية صياغة الكلمات والمفردات ، ووحدة النظام الصرفية تسمى (المور فيم) وهي أصغر وحدة ذات معنى مثل كلمة : اكتبا .

وهي نظام نحوي يتم من خلاله تحديد القواعد التي تحكم بناء الجمل ، وتقوم على مجموعة من الأسس منها : الاختيار أو الانتقاء لكلمات أو صيغ صالحة للتعبير عن المعاني، ومنها الموقعية (النظر في ترتيب وحدات الجملة) ، ومنها المطابقة بين وحدات الجملة ، ومنها الإعراب التي تشير علاماته إلى وظيفة كل وحدة داخل الجملة كما أنها نظام دلالي بنوعيه .

أ- المعجمي : لإدراك المعاني الأساسية للمفردات .

ب-السياقي : لتحديد المعاني المتنوعة بتنوع التراكيب والسياقات المختلفة .

والأرجح : أن هذه الأنظمة تتآزر وتتكامل ، ويمهد بعضها البعض الآخر لوضع تللك الضوابط والأحكام التي تعطينا هذا النظام المسمى " باللغة " ، وهذا كله يؤكد أن اللغة مجموعة أنظمة تتعاون معا للوصول إلى غاية، أو هي نظام أكبر مكون من أنظمة أصغر، والكل هدفه المعنى[١٣]

"وظائف اللغة"

---

(١٢)انظر : علم الأصوات لما لمبرج – تعريب د / عبد الصبور شاهين ٢٥٣/٩٢٢ ، وعلم اللغة العام – د/كمال بشر – ص٣٨ وما بعدها ، وأسس علم اللغة لماريو باي – ترجمة د/ أحمد مختار عمر – ص٧٧ وما بعدها ، ومن أسس علم اللغة – د/ محمد يوسف حبلص – ص٢٧.

(١٣) انظر: من أسس علم اللغة – د/ محمد يوسف حبلص – ص ٤٥.

١- **اللغة هي الأداة الفعالة** التي تربط بين أفراد المجتمع، وتجعل منه وحدة متماسكة ، فهي المعبرة عن أفكاره واحتياجاته ، وهي كل ما يهمه في هذه الحياة [١٤].

٢- **اللغة هي الوعاء** الذي يحفظ تجارب الأمة وثقافتها وتاريخها وتراثها ونقله عبر الأجيال، فهي ظاهرة إنسانية مكتسبة من المجتمع ذات نظام من وحدات (صوتية وصرفية) لها سمات معينة أو خصائص مشتركة .

٣- **نقل الخبرة الإنسانية** ، والتعبير عن الفكر واكتساب المعرفة ؛لأن اللغة تولد الفكر ، فهي أداته التي تنظمه ، وتنقل نتائجه للعقول والأذهان عبر المسافات الزمنية ، والمكانية فتحدث المعرفة التي تحقق آمال الإنسان .

٤- **يرى" جيفونز"أن اللغة** وسيلة للتفاهم ،وأداة تساعد على التفكير، وتقوم بتسجيل الأفكاروالرجوع إليها([١٥]) .

٥-تحقيق الاتصال أو الترابط بين أفراد المجتمع ، فتؤدي إلى تماسكه فهي أسمنت المجتمع ، فهي **تدبر شئون المجتمع** ، وتقسيم العمل ، وتوزيع الجهد ، والمساعدة على إنجاز بعض الأعمال والأنشطة الحيوية التي يؤديها العمال في صورة جماعية كالصيد والبناء وأعمال الحفر .

٦- **اللغة وسيلة الإنسان للهو والتسلية** ، ومصدر بهجته ومتعته،وإدخال السرور إلى النفس والتعبير عن الجمال والتأثير في النفوس والقلوب ، لما فيها من انسجام صوتي ، وواقع غنائي على الأذن .

٧-**الاتصال أو التوصيل ، أو النقل** ، أو التعبير للأفكار والمشاعر والمعاني والانفعالات والرغبات ، أو الفكر بوجه عام ، تراه في شرح المدرس دروسه للطلاب ، أو تقديم المحامي للغته في المرافعة ، والاديب والعالم والفيلسوف، وكلها تتطلبها الجماعة المتكلمة بها، فهي وسيلة لخلق العلاقات الاجتماعية وتوثيقها ، أو تلبية رغبة البشر في الاجتماع الإنساني .

٨-**المناجاة والقراءة** ، واستعمالها في السلوك الجماعي ، كالصلاة ، والدعاء ، والمخاطبات الاجتماعية كلغة التحيات والتأدب.

٩. تستخدم كمساعد آلي للفكر، تسهل الفكر وتساعد على نموه، فهو يؤثر في نمو اللغة وتطورها ، وهذا أمر واقع ، لتفاعل اللغة بالفكر .

واللغة وعاء الفكر ، ولا وجود للفكر دون اللغة ، وما سمى المنطق إلا من النطق إشارة إلى ما بين اللفظ والفكر من صلات .

وقيل : " اللغة سجل تاريخ الشعب ، ترتقى برقيه ، وتنحط بانحطاطه" ، ومهما تعددت الآراء في تحديد العلاقة بين الفكر واللغة ، وتضاربت في أسبقية النشأة لكل منهما ، فلن نجد من يستطيع التنبؤ بمصير الفكر والتقدم الإنساني لو لم توجد لغة النطق وأداة الكلام[١٦] .

([١٤]) انظر : علم اللغة بين القديم والحديث د/ عبد الغفار حامد هلال – ص٥ – ط ثانية ١٩٨٦م.

([١٥]) راجع : علم اللغة بين التراث والمعاصرة –د/ عاطف مدكور –ص ١٤ – ط ١٩٨٧م – دار الثقافة بالقاهرة ، ومدخل إلى علم اللغة – د/ محمد حسن عبد العزيز – ص ١١٩.

([١٦]) انظر : علم اللغة ومناهجه – د/ عبدالله ربيع محمود ، و د / عبد الفتاح البركاوي – ص ٢٤ – ط أولى – ١٤٠٢ هـ /١٩٨٢م – مؤسسة الرسالة .

١٠ -اللغة أحد مقومات الوطن والوطنية :

حيث تكون اللغة رابطا قويا يجمع الشعب الناطق بلغة واحدة ، واللغات المختلفة في الأمة الواحدة ، أو الوطن الواحد .

فاللغة جزء من كياننا الروحي ، ومعين لتراثنا ، وقطعة من تاريخ الأمة ، لذا تفرض الدول المستعمرة لغاتها على الشعوب المحتلة ، كما فعلت إيطاليا في ليبيا – وفرنسا في تونس والجزائر أثناء استعمارهما ، لكن الشعوب المحتلة تتماسك بكيانها " لغتها " حتى أثناء الاستعمار ، كما فعلت بولندا عندما احتلتها الإمبراطوريات العظمى في القرن ال ١٨ ، لذا نجد

الشعوب المحتلة تركز على مطالبة المستعمر في أن تكون لغاتها في الأمور الرسمية .

وفي التاريخ دلالات كثيرة على اعتزاز الشعوب بلغاتها ، فقد نقل الأمويون دواوينهم إلى العربية ، وسعى الألمان في نهاية القرن ال١٩ إلى تطهير لغتهم من الألفاظ الفرنسية الدخيلة ، كما أبعدت تركيا الالفاظ العربية عن لغتها .

١١-اللغة وسيلة للترابط الدولي والقومي :

تعد جامعة الدول العربية هي جامعة اللغة العربية ، وهناك اتحاد الدول الناطقة ، ودول الكومنولث ، وقيل : للروابط اللغوية بين أمريكا وانجلترا دخلت أمريكا الحرب العالمية الأولي بجانب الحلفاء .

١٢-اللغة وسيلة للترابط الاجتماعي :

اللغة نشاط اجتماعي ، يحصل بها على العون والمساعدة ، وتقيم الود والألفة بين الناس ولغة التحيات والتخاطب والسؤال عن الحال والصحة ، ولغة التأدب ، ولغة الكلام ، وقد نرى أن الصمت أحيانا في الاجتماعات على أنه مظهر سلوكي عدائي ، أو مظهر من مظاهر اختلاف في وجهات النظر .

فاللغة هي محاولة للوصول إلى أعماق شعور الجماهير ، والتأثير في الناس وإقناعهم ، ودفعهم إلى عمل سلوكي معين ، أو تغيير نمط سلوكي ، أي أنها تصنع الرأي العام .

١٣-اللغة وسيلة للتنفيس عن الإحساسات وبخاصة العنيفة منها :

قد يستخدم الإنسان اللغة ناشدا الأشعار الحزينة باكيا من فقدهم من أحبابه ، بقصد التفريج ، أو التنفيس عن آلامه وأحزانه ، وذلك عندما يخلو إلى نفسه ، دون قصد إلى نقل إحساسات ، أو أفكار معينة .

١٤- اللغة وسيلة للتسلية أحيانا : -

حيث يقوم الأفراد بالتلاعب بأصواتهم بقصد التلذذ والسرور ، والمعجزة الإلهية في جعله أعضاء النطق آلات موسيقية يجب على الإنسان أن يداعبها ويلعب بها ، لذا فالثرثرة عند المرأة في غير المواقف الرسمية بهجة ومتعة .

ومجمل القول في وظائف اللغة في المجتمع نجد أنه بجانب وظيفتها الأساسية التي هي التواصل بين أفراد المجتمع ، هناك وظائف أخرى قد تقل في أهميتها ولكن يجب علينا عدم نكران وجودها ، وهذه الوظائف المتعددة للغة تجعلها من أهم الظواهر أو المؤسسات الاجتماعية .

وقد قيل : " اللغة أصوات في حروف ، وحروف في كلمات ، وكلمات في جمل ، وجمل في نحو ، نحو في بيان ، والبيان وحدة لا تتجزأ ، والإنسان كائن مجتمعي ، واللغة تكس هذا الإنسان " .

" نشأة اللغة الإنسانية "

اختلف العلماء حول موضوع النشأة ، وتنوعت أراء المفكرين ، ولم يصلوا إلى نتائج يقينية ، بل كان معظمها مصطبغًا بالصفة الشخصية ، فيقول (ماريو باي) : فيم يختص بشأن اللغة وطبيعتها : " لدينا مصادر تعتمد على الأساطير والحديث المنقول ، والمناقشات الفلسفية ، ولكن تنقصنا الحقائق العلمية في هذا الصدد " .

وحاول البعض عرض نظرياته عن نشأة اللغة بثوب علمي ، مدافعا عنه في صلابة وإصرار ، غير أن بعض المعتدلين من علماء اللغة سخر من مجرد التفكير في جعل موضوع نشأة اللغة ضمن بحوث علم اللغة .

قررت الجمعية اللغوية في باريس عدم مناقشة هذا الموضوع ، وعدم قبول أي بحث فيه [١٧].

- كما أن كثيرا من علماء اللغة المشهورين من أمثال (بلو مفيلد ، وفيرث) لم يتعرضوا لدراسة هذا الموضوع بشكل علمي .
- واعتبر (فيرث) أن الكلام فيه نوع من الفلسفة اللغوية التي على طالب علم اللغة أن يلم بها إلمامًا سريعًا ، ولا بأس من ذلك حتى نعرف بعض النظريات والآراء التي حاول بها العلماء تفسير نشأة اللغة الإنسانية .

" نظريات نشأة اللغة [١٨] "

يرجع الفضل في هذه النشأة إلى المجتمع الإنساني ، وحاجة أفراده للتعاون والتفاهم ، والإنسان حيوان ناطق ، واللغة من أهم المؤسسات الاجتماعية عند الإنسان وإحدى مميزاته الرئيسية التي تميزه عن الحيوان ، وربما أن موضوع نشأة اللغة مشكلة فكرية قديمة ، كثرت حولها البحوث ، وتعددت بصددها الآراء والنظريات ، ومن أهمها :-

١- نظرية التوقيف [١٩] : -

ترى أن اللغة وحي إلهي بدليل قوله تعالى :

([١٧]) انظر : فقه اللغة – د/ عبده الراجحي – ص٧٧ ط دار النهضة – بيروت .

([١٨]) انظر : الخصائص لابن جني ١/٤٠:٤٨، والمخصص -لابن سيدة -١/٣:٦

ودلالة الألفاظ – د/إبراهيم أنيس – ص ٢٣ وما بعدها .

ونشأة اللغة عند الإنسان والطفل – د/ علي عبد الواحد وافي .

وفي علم اللغة العام – د/ عبد الصبور شاهين ص ٦٩ وما بعدها

وعلم اللغة –د/محمود السعران – ص ٥٢.

([١٩]) انظر : علم اللغة – د/ على عبد الواحد وافي – ص ٩٧– ط٧ – نهضة مصر . والصاحبي في فقه اللغة لابن فارس – تحقيق السيد أحمد صقر – ص٦ طبعة الحلبي ، والخصائص لابن جني ١/٤١ ، والمزهر للسيوطي ١/١١..

(وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) [٢٠] ، ومن الإنجيل المقدس في العهد القديم " أن الله دعا أدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية " ، ومعناها : أن اللغة توقيف من الله تعالى (جاهزة في عالم الغيب) ثم كشفها وأطلع عليها آدم وورثها بنوه .

وأصحاب هذه النظرية قديمًا : هيراكليت الفيلسوف اليوناني (ت٤٨٠ق.م)

وفي العصور الوسطى : ابن فارس ، والأشعري ، والنسفي ، وابن جني ، والسيوطي ، وفي القرن ال ١٨ : الفيلسوف الفرنسي دوبو نالد، والأب لامي .

وإن كان علم اللغة يرفض هذه النظرية ، وذلك لافتقارها إلى الحجة العلمية المقتعة بدلًا مما يتبين لنا من وهن وضعف الحجج والأدلة لمخالفتها سنن التطور وطبيعة الظواهر الاجتماعية [٢١] .وليس لهذه النظرية دليل عقلي واقعي يؤيدها.

٢- **نظرية الاصطلاح والمواضعة** :-

ترى أن اللغة ابتدعت بالاتفاق والمواضعة ، أي أن اللغة نشأت من صنع الإنسان ، فهو الذي ركب الكلمات من

الحروف ، ووضع ألفاظ اللغة لمعانيها حسب حاجته في هذه الحياة ، أي وضع اللغوي سمة أو لفظًا يدل على إبانة الشيء ، نحو إنسان ، وعين ، ويد ، ورأس ، وقدم ، وبذلك تنشأ العربية .

ومن أنصارها قديمًا : (ديمو كريت) اليوناني

وفي العصور الوسطى : (ابن جني) ، واستاذه (ابن علي الفارسي) .

وفي العصور الحديثة : (آدم سميث) الإنجليزي ، (وريد) الإنجليزي .

وليس للنظرية سند عقلي ، أو نقلي أو تاريخي ، وما تقرره يتعارض مع نواميس النظم الاجتماعية التي تتكون بالتدريج من تلقاء نفسها ، فلا تخلق خلقًا ولا ترتجل ارتجالا ، ولا توجد دفعة واحدة .

٣- **نظرية محاكاة أصوات الطبيعة** [٢٢] :

ويذهب أصحابها إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو الأصوات المسموعة ، كدوي الريح ، وحفيف الشجر ، وحنين الرعد ، وخرير الماء ، وسجيح الحمار ، ونعيق الغراب ، وصهيل الفرس ، ونزيب الظبي ، ونحو ذلك ، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد ، ولعل ذلك يكون قريبًا إلى الصحة والمعقول ، وأكثرها يتفق مع طبيعة الأمور وسنن النشوء والارتقاء الخاضعة لها الكائنات ، وظهور الطبيعة الاجتماعية ، ويؤيد ذلك لجوء الطفل في المرحلة السابقة لمرحلة الكلام إلى محاكاة الأصوات الطبيعة ، وإن كان ذلك لا يعيد تاريخ نشأة اللغة ، ويعد العالم الألماني (هردر) أول من دافع عن هذا المذهب .

([٢٠]) سورة البقرة : ٣١.

([٢١]) انظر : في فقه اللغة د : ناجح حافظ مبروك – ص ٤٤.

([٢٢]) انظر : علم اللغة – د/ وافي – ص١٠٥، ونشأة اللغة عند الإنسان والطفل – د/وافي –ص٤٢–ط نهضة مصر، ودلالة الألفاظ – د/ إبراهيم أنيس – ص١٦: ١٨–والخصائص لابن جني٤٦/١ ، وفقه اللغة العربية – د/محمد إبراهيم نجا – ص ٢١.

* ويمتاز مذهب المحاكاة بشرحه مبلغ تأثر الإنسان في النطق بالألفاظ ، وبالبيئة التي تحيط به ، ولكن يؤخذ على هذا المذهب ما يلي :-

١-حصره أساس نشأة اللغة في الملاحظة المبنية على الإحساس بما يحدث في البيئة .

٢-تجاهله الحاجة الطبيعية الماسة إلى التخاطب والتفاهم والتعبير عما في النفس ، وهي من أهم الدوافع إلى نشأة اللغة الإنسانية .

٣-لا يبين لنا كيف نشأت الكلمات الكثيرة التي نجدها في اللغات المختلفة ، ولا نرى فيها محاكاة لأصوات المسميات ، ويتضح ذلك بوجه خاص في أسماء المعاني كالعدل والمروءة والكرم والشجاعة ، وغيرها .

٤-رفض المنهج العلمي للغة البدائيين .

٥-إن طريق المحاكاة يجعل الإنسان في مرتبة أدنى من الحيوان ، لأنه قلده حاكيًا صوته قاصدًا الدلالة على مصدره . هذه هي المآخذ التي دعت المدافع عن هذا المذهب وهو العلامة (هردر) الألماني إلى العدول عنها في أخريات حياته ، كما سخر منها (مكس موللر) الألماني ومع ذلك فإن لأصحاب هذا المذهب الفضل في أنه فتح للباحثين باب البحث الفلسفي في نشأة اللغة . كما أنه لا يبعد كثيرًا في إرجاع نشأة اللغة – أحيانا – إلى ملاحظة خاصة ، ويعد د/كمال بشر تلك النظرية بعيدة أيضًا، لأن لغات بعض الشعوب البدائية تكاد تخلو خلوا تاما من مثل هذه الكلمات [٢٣]

٤-نظرية التنفيس عن النفس :

تصور أن نشأة اللغة عند هؤلاء السلف البعيد حيث بدأت بصفة انفصالية محضة ، فمحلة الألفاظ قد سبقتها مرحلة الأصوات الساذجة التلقائية الانبعاثية التي صدرت عن الإنسان ، فكانت مجرد غناء ينظم بوزن حركة المشي ، أو العمل اليدوي ، أو صيحة كصيحة الحيوان ، للتعبير عن ألمه أو سروره أو رضاه أو نفوره، وما إلى ذلك من الأحاسيس المختلفة فهذه الأصوات الساذجة ، قد تطورت على مر الزمن ، حتى صارت ألفاظًا ، ولعل الصيحة لدى الحيوان والتي تكشف عن خوف أو لرغبة في الغذاء بعد أن زودت بقيمة رمزية اعتبرت كأنها إشارة قابلة لأن يكررها آخرون .

❁ وتمتاز هذه النظرية بعزوها نشأة اللغة الإنسانية

أي أنها تعتد بالشعور الوجداني الإنساني ، وبالحاجة إلى التعبير عما يجيش بصدر الإنسان ، من انفعالات وأحاسيس ، فإذا كانت النظرية السابقة قد أرجعت نشأة اللغة الإنسانية إلى ملاحظة خارجية موضوعية ، أي ملاحظة مظاهر الطبيعة ومحاكاتها في ابتكار الأسماء الدالة عليها ، فإن هذه النظرية خطوة أخرى في اتجاه آخر نحو البحث عن حل للمشكلة ، فإنها تشرح لنا منشأ بعض الكلمات التي تعجز النظرية السابقة عن شرح منشئها .

❁ ومع كل هذا فإنها نظرية ناقصة وغامضة ، لأنها لا تبين منشأ الكلمات الكثيرة التي لا يمكن ردها إلى أصوات انفعالية ، ولأنها لا تشرح لنا سر تحول تلك الأصوات الساذجة الانفعالية إلى ألفاظ أو أصوات مقطعية ؛ لذا انصرف عنها اللغويون ، وسخر منها (مكس مولر) .

---

[٢٣] انظر : قضايا لغوية –د/كمال بشر –ص١٢٢.

٥-نظرية الاستعداد الفطري :

أذاعها (مكس مولر)، على أن الإنسان مزود بفطرته بالقدرة على صوغ الألفاظ الكاملة ، كما أن لديه الرغبة في التعبير عن أغراضه بأي وسيلة من الوسائل ، وذلك عند الحاجة أو في الوقت المناسب .

ولعل الذي دعا (مكس مولر) إلى وضع هذه النظرية ملاحظة الأطفال في حياتهم اليومية الحرة ، وهم تواقون لأن يضعوا أسماء لأشياء التي يرونها ولا يعرفون لها أسماء ، كما أنهم يبتكرون أسماء لم يسمعوها من قبل ارتضاء لرغبتهم الفطرية في التكلم والتعبير عن أغراضهم ، فاستنبط من ملاحظته هذه أن الإنسان مزود بتلك القوة التي تنشأ عنها الألفاظ .

❁ ونرى في هذه النظرية مشكلة المشكلات ، فكيف ومتى زود الإنسان بهذه الذخيرة اللغوية ؟ وكيف انطوت نفسه على تلك الألفاظ الكاملة ؟ وإذا كان قد زود بفطرته بهذه الألفاظ فلم اختلفت اللغات وتعددت اللهجات ؟ وكيف تسنى للإنسان أن يخرج تلك الألفاظ من مكامنها ، ويطلقها على المسميات المختلفة ؟ فالنظرية إذن تنقل الباحث من مشكلة إلى مشكلات أعمق منها ، وأشد غموضا منها ولبسا ، ومن أبرز عيوبها : أنها تفرض ظهور الكلمة أو الكلمات الأولى لدى الإنسان كاملة غير خاضعة لسنة التطور .

٦-نظرية الملاحظة :

برهن العالم الألماني (جيجر) من خلال تجاربه إلى أن الأعمال والإشارات الإنسانية هي أقدم ما وصل إليه من الأصوات اللغوية الأولى ،وأنها أول ما عرف الإنسان عن أخيه ، وأول ما لفتت الإنسان الأول وأثارت اهتمامه ، حيث كان الإنسان يعمل وله حالات انفعالية تثير الاهتمام وتخلق التأثر ، فتثير الملاحظة والانتباه من حوله ، نحو : كلمة الكشط أو السلخ فإنها مشتقة من عمل الإنسان بالجلود في سلخها ، وفي الخشب حث كشط لحاؤه ، والشجر ما يكشط ليؤخذ منه الخشب .

❁ ويؤيد هذه النظرية أن جميع أسماء الآلات تقريبًا مشتقة من كلمات تدل على أعمال إنسانية ، كما في لغتنا العربية من نحو : انتشار والمفتاح والمقص والمخرز، وكلها مشتقة من أصول يدل كل واحد منها على عمل إنساني مهم .

وإن كانت هذه النظرية خطوة لحل المشكلة إلا أنها لم توضح لنا بأسلوب مفهوم أو معقول الأصول العامة الأولى للأصوات التي أرجعتها إلى الأعمال والإشارات الإنسانية المشتقة من أعمال الإنسان، فمن الصعب جدا إرجاع جميع الكلمات التي تتكون منها اللغات كلها إلى تلك الأصول العامة .

٧-نظرية الأصوات التعجبية العاطفية : -

ترى أن اللغة الإنسانية بدأت هكذا عند الإنسان بصورة غريزية للتعبير عن انفعالاته من فرح ، أو وجع ، أو حزن ، أو استغراب ، أو تقزز ، كقولك : (أف) عندما تتأفف ، أو (وي)عند التلهف أو التحسر .

وقد رفضت هذه النظرية لعدم قدرتها على عدم إبراز الصورة الحقيقية لنشأة اللغة .

٨-نظرية الاستجابة الصوتية للحركات العضلية ومدلولها :

أن اللغة الإنسانية بدأت بالمقاطع الطبيعية التي يتفوه الإنسان بها عفويا عند استعماله أعضاء جسمه في العمل اليدوي ، كما تسمع إذا وقفت بجوار عامل ينحت صخرا ، أو يحمل ثقلا ، أو يقطع شجرة ، أو حداد يعمل .

وقد رفضت هذه النظرية : لعدم أدلتها القوية على إبراز صورة حقيقية لنشأة اللغة أيضًا.

٩-النظرية الاجتماعية :

ترى أن اللغة نشأتً عن طريق الأصوات الجماعية نتيجة التقاء الإنسان الأول مع إخوانه من البشر في أعمال تحتاج إلى أصوات تخفف على أنفسهم مشقة العمل فأصدر أصواتًا لا معنى لها ، كقولهم : هيلا هوب ، ثم صار لها معنى بعد ارتباطها بالعمل وأصبحت على مر الأيام وسيلة للتفاهم .

أي أن اللغة وضعتها الجماعة فهي اجتماعية ، وهذا ليس معقولًا أن يظل الإنسان أبكما زمنًا طويلًا حتى يلتقى بغيره فينطق الأصوات المعبرة دفعة واحدة دون مران سابق ، وهذا يخالف للمألوف .

كما أنه ليس معقولا أن الإنسان لم يعرف اللغة إلا بعد تكوين الجماعة ومزاولتها للأعمال الشاقة التي هيأت له سبيل الوصول إلى الكلام .

١٠-نظرية التطور اللغوي :-

تأثر أصحابها بنظرية التطور العام للعالم " دارون " ورأوا أن التطور اللغوي يشبه التطور والنمو اللغوي عند الطفل وزعموا أن لغة الإنسان الأول سلكت مراحل فكرية متعددة ، متمشية مع مراحل نموه العقلي ،وهذه المراحل هي :

أولًا : مرحلة الأصوات الساذجة الانبعاثية :

صدرت عن إنسان العصور الأولى حيث لم تنضج أعضاء نطقه ، بالإضافة لميوله ورغباته المحددة ، لذا جاء بعض الأصوات مبهمة وغير مفهومة أحيانًا وبدون رغبة أو غرض معين .

ثانياً : مراحل الأصوات المكيفة المنبئة عن الأغراض والرغبات المصحوبة بالإشارات المتنوعة التي تساعد الأصوات فطريا في أن تبين عن أغراضها ، وقد ساعد نمو أعضاء النطق ونمو الإحساس والشعور الذاتي لدى الإنسان على هذا التطور في الأصوات وتكيفها ، وتنوعها ، لاختلافها في الشدة والرخاوة ، والجهر والهمس ، وغير ذلك ، وتمثلها تلك الأصوات التي تصدر عن الطفل في نهاية السنة الأولى من عمره ، حيث تكون مصحوبة بإشارات منبئة عن أغراضه بما فيها من دلالات على الخوف أو الحنين ، أو النفور ، أو الرضا ، أو القلق ، أو الاضطراب ، أو الشعور بالحاجة إلى المعونة ، فهو بهذه الأصوات يعبر عن شعوره ، ويستغيث بغيره من بني جنسه .

ثالثاً : مرحلة المقاطع :

حيث صارت أصوات الإنسان غير المحددة المعالم إلى أصوات محددة ، وفي صورة مقاطع قصيرة ، مستنبطة من أصوات الأشياء أو الظواهر الطبيعية ، أو متأثرة بها حيث يتأثر الطفل مثلا في بداية عامه الثاني من عمره بمن حوله و يتأثر بهم فينطق مقاطع متكررة حتى تنطبع في نفسه ، وتكون منها لغته البدائية ، ، نحو : " هوهو " عن الكلب ، و" نونو " عن القط ، و" تك تك " عن الساعة ، وغير ذلك .

رابعاً : مرحلة الكلمات المكونة من المقاطع :

وقد وصل الإنسان إليها حين اكتمل عقله، ونضجت أعضاء صوته، واتسع نطاق حياته الاجتماعية وكثرة رغباته، واشتدت حاجته إلى التفاهم مع غيره، وفي هذه المرحلة يتألف معجم الطفل اللغوي من الكلمات الشائعة في بيئته ممن يحيطون به .

خامساً : مرحلة الوضع والاصطلاح :

❁ وهي المرحلة الأخيرة للنمو اللغوي ، وتصنعها حاجة الإنسان للاحتكاك ببيئته ، ومسايرة اللغة المستخدمة لديه مع تفكيره وعقله ، مشاهداته ، وكثرة التجارب وتغاير دروب الحياة .

❁ وفي هذه المرحلة وضعت المصطلحات العلمية ، وابتكرت الأسماء الدالة على المسميات المستحدثة ، وازداد النمو الفكري ، وأوغل الإنسان في التحضر ، وتتناسب هذه المرحلة مع الطفل عندما يذهب إلى المدرسة ويدرس العلوم والفنون ، ويتعلم بعض المصطلحات العلمية والفنية المختلفة ، ثم تأتي مرحلة التنسيق والتجميل للكلام شعرًا ونثرًا .

هذا هو مذهب التطور اللغوي في نشأة اللغة الإنسانية ، ويمتاز بما يأتي :

١- يخضع نشأة وتطور اللغة إلى سنة التطور العام مثلها كالكائن الحي ، ينشأ صغيرًا ساذجًا ، ثم ينمو شيئًا فشيئًا ، بحكم طبيعته وبيئته ، فاللغة كظاهرة اجتماعية تخضع لعوامل التطور .

٢- يشرح سر نمو اللغة متنًا وأسلوبًا ، ويعزو ذلك إلى تقدم ورقي الإنسان اجتماعيًا ، وإلى حاجته لتنمية لغته لتساير حياته ، ليستطيع التعبير عن أفكاره ورغباته .

٣- وجود أكثر من عامل واحد في نشأة اللغة وتطورها ، وأن الإنسان قد تأثر في إصدار الأصوات الساذجة أو المكيفة بما سمع من أصوات الحيوان أو الظواهر الطبيعية ، معبرًا عن آلامه ورغباته وانفعالاته وعواطفه .

٤- عدم إنكار هذا المذهب لأثر الاشتقاق والوضع في تنمية متن اللغة وتوسيع نطاقها .

❁ تلك هي أهم النظريات التي اشتهر أمرها في الكلام على نشأة اللغة الإنسانية عند القدماء من فلاسفة الإغريق ، وعلماء الغرب المسيحي في العصور الوسطى ، وعلماء اللغة ، وأهل الكلام من العرب ، وفلاسفة القرن الرابع الهجري وما بعده ، والمحدثين من علماء اللغة في أوربا حتى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، وأوائل القرن العشرين ، وكلها نظريات لم تحل مشكلة النشأة اللغوية ، ولم تفسرها تفسيرًا يمكن أن تطمئن إليه ، لعدم استقامتها على المنهج العلمي ، وبعدها عن الواقع اللغوي المطابق لحياة الإنسان الأول .

❁ لذا يجب إخراج مسألة أصل اللغة ونشأتها من مجال البحث اللغوي، بينما ابن فارس يجعل البحث في نشأة اللغة أولى بالاهتمام،بل هي الدراسة اللغوية الجديرة بالنظر [٢٤] .

ويقول (جسبرسن) : إن علم اللغة لا يمكن أن يحجم إلى الأبد عن البحث في الوقت أو المكان الذي يتوقع أن يكون قد حدث فيه تطور لغوي .

([٢٤]) انظر : فصول في فقه العربية – د/رمضان عبد التواب – ص ٤١.

والحق أن الإنسان بطبعه يميل للتطلع إلى المعرفة ، فيجوز أن تكون هذه النظريات القديمة قد ظهرت نتيجة اهتمام الإنسان بأصله وطبيعته ، فكل من الإنسان واللغة مترابطان فمتى عرف نشأة اللغة عرف متى وأين ظهر الإنسان [٢٥] .

وأرى : أن مباحث أو نظريات نشأة اللغة فيها كثير من المغالاة ويرى بعض اللغويين أنه من الضروري إقصاء هذه المباحث التي لا تتعلق بفقه اللغة تعلقا وثيقا [٢٦] .

بينما يجعل ابن فارس البحث في نشأة اللغة أولى بالاهتمام ، بل هي الدراسة اللغوية الجديرة بالنظر [٢٧] .ومهما يكن من أمر فإن موضوع نشأة اللغة لا يزال الخوض فيه من الأمور الفلسفية الميتافيزيقية التي تخرج الباحث فيه من نطاق الحقائق العلمية إلى البحث فيما وراء الطبيعة ، وفي أمور لا تملك منها اليوم أية وثائق أو مستندات والله أعلم [٢٨] .

ومع ذلك فقد أعجبني رأي أستاذي د/ عبد الصبور شاهين " من المفيد لبيان أهمية اللغة أن يتساءل اللغوي عن نشأتها ، مهما تكون عسيرة على التصور فهذا هو المدخل الطبيعي لدراسة الظاهرة المجهولة الأصل، ولإثارة خيال الدارسين حولها،و أمر لا يخلو من فائدة " .

ويقول أيضًا : " كما أنه في نظرنا ضرورة منهجية لا ينبغي تجاهلها " [٢٩].

وهكذا نرى أن كل النظريات التي حاولت من جانبها أن تفسير نشأة اللغة وقد رفضها علماء اللغة جميعًا ، لعدم قدرتها على أن تفسر إلا جانبًا محدودًا (ضيقًا) من اللغة ، وذلك لأن أصل اللغة يغطيه الحجب والغموض بسبب قدم عهوده .

ومن الصعب علينا أن نهتك هذه الحجب إلا بالتخمين ، والخيال ، والغيبيات ، وكلها مرفوضة لدى علم اللغة الحديث .

وسواء كانت هذه الأصوات ناشئة عن طبيعة الإنسان ، أو أجمع على وجودها بالاصطلاح والمواضعة ، أو بوحي إلهي وتوقيفي ، أو نشأت للمحاكاة لأصوات الحيوانات أو الطبيعة ، أو للأصوات الانفعالية ، أو الأصوات الجماعية ، أو المؤثرات الخارجية ، أو أن اللغة غريزة في الإنسان الأول ، أو غير ذلك مما قيل في نشأة اللغة[٣٠].

([٢٥]) انظر : دور الكلمة في اللغة ، ل (ستيفن) – ترجمة د/كمال بشر – ص ١٦ وما بعدها – مكتبة الشباب – ١٩٧٥م واللغة بين الفرد والمجتمع ل (جسبرسن) – ترجمة د/ عبد الرحمن أيوب – مكتبة الأنجلو المصرية – ١٩٥٤م –١/٣٠.

([٢٦]) يقول د/ صبحي الصالح : " فالمنطلق الصوري وتعليلاته وأقيسته ، وما وراء الطبيعة من الغيبيات ، وفرض القواعد والمعايير ، كما تفرض أحكام القانون ، كل هذه ليست من المنهج اللغوي في شيء ، فلا مناص من تجديد البحث في فقه اللغة إذا أردنا للغتنا الحياة والخلود، انظر : دراسات في فقه اللغة – د / صبحي الصالح – ص٣١.

([٢٧]) انظر : أصول في فقه العربية – د/ رمضان عبد التواب – ص٤١.

([٢٨]) انظر : في علم اللغة – د/ سيد شرف أحمد السيد و د/ عبد الهادي أحمد محمد السلمون – ص ١٠٣.

([٢٩]) انظر : في علم اللغة العام – د/ عبد الصبور شاهين – ص ٨٢.

([٣٠]) انظر : دراسات في فقه اللغة – د/ صبحي الصالح – ص ٣١:٦٦ ، ودلالة الألفاظ – د/ إبراهيم أنيس ص ١٢٣ ، وفي علم اللغة العام – د/ عبد الصبور شاهين – ص ٦٩: ٨٢.

فإن اللغة : هي تلك الأصوات التي ينتجها جهاز النطق الإنساني معبرًا بها عن إحساساته وحاجاته اليومية المتعددة ، وهي تعبير وتوصيل وتواصل [٣١] ، كما أنها أداة نستخدمها للتأثير في الغير .

" خصائص اللغة الإنسانية [٣٢] "

حيث إن الأشكال المستخدمة في الاتصال لدى الحيوان محدودة للغاية ومحصورة في غرائزه ورغباته . فاللغة الإنسانية أشكالها متنوعة تبعًا لتجارب ومعارف الإنسان ، وأما صيحات الحيوان فتفتقر إلى التأليف أو التركيب والتقسيم وذلك مختلف عن اللغة الإنسانية القادرة على الخلق والابتكار تبعًا للمواقف حيث يستخدم الإنسان لغته وفقًا لقواعد صوتية وصرفية ونحوية معقدة متعارف عليها بين أفراد جماعة .

١-اللغة ظاهرة إنسانية عامة يشترك فيها كل أبناء الجنس البشرى دون سائر المخلوقات ، فالإنسان حيوان ناطق يتميز عن غيره من المخلوقات بأنه وحده القادر على وضع أفكاره في ألفاظ ، وممارسة الحياة في جماعة متعاونة ومرتبطة بعمل جماعى .

٢-اللغة ظاهرة اجتماعية يتبعها أفراد المجتمع ويستخدمونها في علاقاتهم وعاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم ، فهي نتاج العقل الجمعي .

٣-اللغة ظاهرة مكتسبة ، أي يتلقاها الإنسان ويتعلمها من المحيطين به ، ويرى العلم الأمريكي (سكينر) أن اللغة عادة مكتسبة لدى الإنسان وأن الطفل يولد وذهنه صفحة بيضاء خالية من اللغة تماما ، وبالتدريب المتواصل يتمكن من السيطرة عليها ، وللمجتمع دور كبير في صيغ الكلام بالطابع الاجتماعي .

٤- اللغة عرفية تنشأ من اصطلاح الجماعة اللغوة المعينة ، فهي ليست تحكمية مفروضة على المجتمع من خارجه ، فمعارف الناس على تسمية الأشياء بأسماء قد تكون مختلفة عند أناس . والقول بعرفية اللغة لا يحول دونا لاعتراف بما بين أفراد الجماعة اللغوية من فروق لا يحدها الحصر .

٥-اللغة نظام وقواعد مقروءة تخضع له في توزيع أصواتها وكلماتها وجملها .

٦-اللغة رموز استخدمها الإنسان في اتصاله ، بأخيه كالصفير ، والحركات ، وأصوات مدفع الإفطار، وأجراس الكنائس ، وصوت القطار ، وإشارات المرور المختلفة، وكاللون الأسود كرمز للحزن ، والأبيض رمز للفرح عند المصريين ، وهز الكتفين عند الإنجليزي كعلامة النفي ب(لا) وهكذا ، فكلها رموز تشبه اللغة المنطوقة

٧-اللغة صوت ذو معنى يصدر عن أعضاء الجهاز النطقي الإنساني .

٨-اللغة متغيرة : والتغير هو انتقال ظاهرة لغوية من حالة إلى حالة أخرى في مرحلة من

([٣١]) يستخدمها الإنسان ليعبر بها عن أفكاره المختلفة ، وحاجاته المتعددة ، وهذا التعبير يريد به الإنسان أن يوصل رسائل معينة إلى أفراد المجتمع الذي يعيش فيه ، فيرتبط بهم ويرتبطون به ، وهنا ينشأ نوع من التواصل والترابط بين أفراد المجتمع

انظر : أصول تراثية – د/ كريم زكي حسام الدين – ص ٩٢ ، ومدخل إلى اللغة – د/ محمد حسن عبد العزيز – ص ١١٩.

([٣٢]) انظر : اللغة بين القومية والعالمية – د/إبراهيم أنيس – ص ١٥ وما بعدها .، ومدخل إلى علم اللغة – د/ محمد حسن عبد العزيز – ص ٩ : ١٩ – ط ١٩٩٢م – مكتبة الشباب ، ومن أسس علم اللغة – ص ٨: ٢٠ – د / محمد يوسف حبلص .

مراحل تاريخ اللغة المعينة ، والتغير يلحق أنظمة اللغة : الصوتية ، والصرفية ، والنحوية ، والدلالية تبعًا لقواعد وقوانين أقرب ما تكون إلى الثبات واطراد النتائج ، ولا طاقة لأحد بمقاومتها ، أو تغييرها .نحو كلمات : ذئب / ديب ، وذيل / ديل ، وذبح / دبح ، وثلاثة /تلاتة ، وثوب / توب ، وخبيث / خبيس ، وذكر / زكر ، والذي / إللي ، ميكتبش وهيكتب .

وترجع أسباب التغير لظروف :

جغرافية ومناخية ، وصفات بيولوجية، وجنسية ، وعوامل نفسية ، وانتقال اللغة من جيل إلى جيل والميل إلى السهولة والاقتصاد في الجهد ، نحو : الهواء شديد ، يقولون : الهوا شديد ... محمد ولد مطيع ، فتقول : محمد ود مطيع .

وكذلك من أسباب التغير :

- تأثر اللغة بلغات أخرى .
- والصراع اللغوى .
- والتغير الثقافي.

فاللغة :نظام من الرموز المنطوقة والمكتسبة تستخدمه جماعة معينة من الناس بهدف الاتصال وتحقيق التعاون فيما بينهم .

" اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة "

اتصل الإنسان الأول بأخيه مستعينًا ببعض الوسائل كالحركة ، والرسم ، والصوت ، والضوء ، ثم تطورت ملكة الكلام لدى الإنسان ، فنشأت عن ذلك اللغة المنطوقة ، فاستخدمها ردحا من الزمن حينما أحس بالحاجة للاتصال بغيره من بني جنسه حين يصعب على الصوت أن يؤدي الغرض ، لبعد المسافة والزمن . وحينما أراد أن ينقل خبراته وتجاربه لأحفاده ، وهنا أدرك عدم كفاية اللغة المنطوقة لإتمام عملية الاتصال في وقت لم يملك فيه الإنسان وسائل الاتصال السلكية أو اللاسلكية ولا وسائل التسجيل ، عندئذ تطورت وسائل الاتصال فصارت اللغة المكتوبة .

ومن ذلك يتضح سبق اللغة المنطوقة للغة المكتوبة ودليل ذلك

- أن الإنسان بدائي يحتاج لأبسط الضرورات ومنها اللغة المنطوقة ، بينما اللغة المكتوبة وليدة الحضارة ، و إذا لم تكن ثمة حاجة للكتابة اكتفى باللغة المنطوقة ، كذلك بداية الإنسان عندما يولد يتعلم اللغة المنطوقة ، ثم يتبع بيئته فقيرة متخلفة لا تعلمه ، أما إن كانت مستنيرة فإنها تحرص على تعليمه القراءة والكتابة ، أي أن تعلم اللغة المنطوقة أولا ، ثم يكون الحرص والتوجيه لتعلم اللغة المكتوبة أو لا يكون ، ومقتضى هذا أن حقيقة اللغة تقوم على الأصوات المنطوقة لا الكلمات المكتوبة ، أو كما قال " جسبرسن " : " إن اللغة ينظر إليها عن طريق الفم والأذن ، لا عن طريق القلم والعين " [٣٣] .

" الفرق بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة "

([٣٣]) انظر : دراسات في اللغة العربية – د/ فتحي محمد جمعة – ص ٤ .

اللغة قديمة قدم المجتمع الإنساني ولكن البحث فيها لم ينشأ إلا في إطار التقدم العلمي ، ولذا فإن كتابتها " تدوينها " ظاهرة حديثة نسبيا ، فهناك شعوب كثيرة أميون لم تدون لغتها ، ولم تتصور أن تلك العبارات المنطوقة يمكن أن تدون إلا بعد مرورها بمرحلة من الرقي الحضاري ، فاللغة معروفة للإنسان كمعرفته للماء والتنفس .

لكن متى عرف الإنسان التحليل العلمي لمكونات الماء وخصائصه ،أ و الجهاز التنفسي ، أو عمليتي الشهيق والزفير ؟

❁ لا شك أنه عرف ذلك منذ وقت قريب نسبيا

وإليك عزيزي القارىء بعض الفروق بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة :

١-من حيث الثبات والتنوع : نجد أن الأولى متنوعة والثانية ثابتة نسبيا ، حيث تعتمد على اختيار

٢-العبارات المناسبة ، ولا تظهر فيها ملامح شخصية الكاتب، أما الأولى فتظهر شخصية وجنسية المتكلم

٣-من حيث المنطق والانفعالية : نجد أن الأولى انفعالية تتنوع فيها عناصر الصوت من نبر وتنغيم ووقف وحركات ونظرات تبعًا للموقف " جد – هزل " " سهل – صعب " لا تملك فيها الحواس ، أما الثانية فهي منطقية تعتمد على السيطرة على الحواس في قدرتها على التصوير والدقة في التعبير .

٤-من حيث التكلف والعفوية : نجد أن الأولى عفوية ، والأخرى متكلفة لحاجتها إلى ضبط وقواعد تحتاج إلى افتعال وتحليل أو احتياط .

" اللغة والكلام "

اللغة : هي الميول والقدرات اللغوية عند الإنسان بصفة عامة ولا يقصد به لغة معينة ، وإنما يقصد به اللغة بوصفها ملكة أو قد يملكها أي إنسان ، وهناك اللغة المعينة كالعربية أو الإنجليزية أو الفرنسية مثلا ، وتعني مجموعة من النظم والقوانين اللغوية المخزونة في عقول أفراد الجماعة اللغوية المعينة ، ويسمى هذا المفهوم بمصطلح " اللسان " .

والكلام عبارة عن : الأصوات اللغوية التي يحدثها المتكلم وقت الكلام في شكل نظام صوتي صادر عن الجهاز النطقي في شكل ذبذبات تنتشر في الهواء وتصل إلى أذن السامع حاملة معاني معينة [٣٤] .

❁ ويفرق العلماء بين اللغة والكلام على النحو التالي : –

١-اللغة ظاهرة اجتماعية " وليدة المجتمع وإفراز البيئة " ، أي أنها نتاج الجماعة ، أما الكلام فهو : ظاهرة فردية يمارسها المتحدث الفرد في الوقت المعين ، ويحمل ملامح الفرد التي تميزه عمن سواه ، فهو أمر فردي يؤلف المادة التي تتكون منها اللغة .

٢-اللغة ثابتة وتتغير ببطء ، أما الكلام فهو شيء عابر سريع الزوال، رغم أن وسائل التسجيل الصوتي الحديثة قد منحته شيئا من الثبات والاستقرار.

٣-اللغة نظام مفروض علينا من الخارج ، أي أن الإنسان تلقاه من مجتمعه منذ الصغر ولا دخل له فيه ، فهو مكتسب كغيره من السلوكيات الخارجية الأخرى ، أما الكلام فهو

([٣٤]) انظر : دور الكلمة في اللغة (مترجم) – ص ٣٥،٣٦.

نشاط متعمد ومقصود يمارسه المتحدث الفرد .

٤- الكلام سلوك ، واللغة معايير هذا السلوك ، والكلام نشاط ، واللغة قواعد هذ النشاط ، والكلام حركة ، واللغة نظام هذه الحركة ، والكلام يحث بالسمع نطقا ، والبصر كتابة ، واللغة تفهم بالتأمل في الكلام [٣٥] .

والتفريق بين اللغة الموجودة بالقوة والكلام الموجود بالفعل ، أو بين الدائم والزائل ، أو بين الاجتماعي والفردي يعد حدثًا خطيرًا في تاريخ علم اللغة في القرن العشرين [٣٦].

❁ ومع هذا الاختلاف :

فإن بين الكلام واللغة علاقة وثيقة تتمثل في أن كلام الجماعة اللغوية يدور في فلك القواعد والمفردات التي تتألف منها اللغة ، فإذا ما قدر لهذه الكلمات أن تنتشر لظروف مناسبة لها ذاعت وأصبحت من مخزون الجماعة المعينة ، فإذا لم تتوازنها الظروف الملائمة تظل عملا فرديا بحتا .

كاستخدام المجتمع للكلمات : ثلاجة – دباسة – غرافة ، لما تعارف عليه أفراد المجتمع ، حيث أصبحت لغة بعد أن كانت كلاما ، وهذا ما يسمى بالتطور اللغوي .

حقيقة المنهج :

أولًا:المنهج لغةً: المنهج والمنهاج : هو الطريق الواضح والنهج بتسكين الهاء هو الطريق المستقيم، يقول ابن منظور:طريق نهج :بين واضح وأنهج الطريق : و ضح واستبان وصار نهجا بينا واضحا، وفي كلام العرب : إنّهج رجل ينهج أي يربو من السمن ويلهث، وأنهجت الدابة :صارت كذلك، وضربه حتى أنهج أي انبسط، وقيل بكى، ونهج الثوب ونهج فهو نهج، وأنهج : بلي ولم يتشقق وأنهجه البلى فهو منهج، ويقول الخليل : طريق نهج :واسع واضح، وطرق نهجة، ونهج الأمر وأنهج، لغتان، أي وضح، ومنهج الطريق :وضحه، والمنهاج :الطريق الواضح .

وورد في المعجم الوسيط" : المنهج هو الخطة، ومنه منهاج الد راسة ومنهاج التعليم ونحوهم ، وقد أجمعت معظم المعاجم على أن المنهج هو الطريقة أو الأسلوب ويستخدم هذا المصطلح أيضا للدلالة على طريقة البحث عن المعرفة والاستقصاء ..

كثيرًا ما يوظف المنهج على أنه التيار أو المذهب أو المدرسة، بهدف الكشف عن الطريقة أو الأسلوب لتيار معين ، أو مذهب معين أو جماعة معينة ، يقول أحمد مطلوب إ ن المعنى العام للمنهج هو الأسلوب الذي يقود إلى هدف معين في البحث والتأليف أو السلوك .

([٣٥]) انظر : مدخل في اللغة – ص ١٧٢.

([٣٦]) انظر : اللغة العربية : معناها ومبناها – ص ٣٢.

والمنهج : يعني" الطريقة أو مجموعة الإجراءات التي تتخذ للوصول إلى شيء محدد كأن نتخذ خطوات تحلل بها الكلمة صرفيا، ذلك أن المنهج والمنهاج يرد في العربية على معنى الطريق الواضح..

والمنهاج :الخطة المرسومة(محدثة) ، ومنه منهاج الدراسة أو منهاج التعليم ونحوهما ...المنهج المنهاج، الجمع مناهج.**والمنهج في الاصطلاح**" :وسيلة محددة توصل إلى غاية معينة

المنهج العلمي : خطة منظمة لعدة عمليات ذهنية أو حسية؛ بغية الوصول إلى كشف حقيقة أو البرهنة عليها، ويقصد" بمناهج البحث :الطرق التي يسير عليها العلماء في علاج المسائل والتي يصلون بفضلها إلى ما يرمون إليه من أغرا "ض، ويقصد بها أيضا" : الأصول التي تتبع لد راسة أي جهاز من الأجهزة اللغوية ."

المنهج جملة الإجراءات والأساليب التي يستخدمها الباحث في جمع البيانات وتصنيفها وتحليلها ، ويوضح ما انبنت عليه من مسلمات نظرية وأسئلة محورية، تبين تبعاتها وتوقعاتها، وتعمم نتائجها وتقترح تطبيقات جديدة، ويكشف عن المبادئ والأسس المنطقية في حل المشكلات كما تقترح صياغات جديدة لتلك المشكلات. ويمكن تعريف الأداة بأنها الطريقة التي استخدمت في جمع المعلومات ، كالمقابلة ، والملاحظة ، أو الاستبانة.

ثانياً : البحث لغةً :

االبحث يعنى طلب الشئ وإثارته، وفحصه، وكلّها معان تشير بالفعل إلى طبيعة البحث العلمى؛ إذ هو طلب لمجهول يستدعى كلّ ما يمكن أن يمدّ الباحث بمعلومات مفيدة فى مجال البحث والتنقيب عنه ، ثم فحص ما تجمّع من تلك المعلومات لطرح ما ليس ذا صلة بالبحث المطلوب وإبعاده ، ثم دراسة وتحليل ما تبقى ممَّا له صلة مباشرة ، أو يساعد على دراسة جانبٍ من جوانبه . والبحث : طلبك الشئ فى التراب ، والبحث أن تسأل عن شئ وتستخير، ويقال:بحث عن الخبر، أى طلب علمه.

وقد وردت كلمة[بحث] فى القرآن الكريم فى موضع واحد فى سياق خبر من أقدم أخبار الإنسان ، دالةً فيه على الطلب

فى الأرض ،كما فى قوله تعالى:[فبعث اللهُ غُرابًا يبحثُ فى الأرضِ ليريَهُ كيفَ يُوارى سوأةَ أخيه] المائدة / ٣٦ ...

وبالرجوع إلى كتب اللغة والبحث فيها عن مادة [ب ح ث] نجدها تدور حول معنى واحد هو طلب الشئ وإثارته وفحصه ، والتنقيب والتفتيش عنه .

أمّا البحثُ اصطلاحاً فهو محاولة لاكتشاف المعرفة والتنقيب عنها ، ثم فحصها وتحقيقها بتقصٍ دقيق ، ونقدٍ عميق ، ثمّ عرضها عرضًا مكتملاً بذكاء وإدراك لنسير فى ركب الحضارة العالميّة ، وتسهمُ فيه إسهامًا شاملاً أو هو طلب الحقيقة وتقصسها وإذاعتها بين النّاس ... أو هو الطريقة التى يسير عليها دارس أو باحث ليصلَ فى النهاية إلى حقيقة فى موضُوع من الموضُوعات أو فى علمٍ من العلوم . مؤيدة بالحججِ والأساليب التى تيبهنُ على صدق ما توصّل إليه من خلال أُسلوبٍ علميٍّ قويّ

والبحث اللغوى لا يحتاج من الباحث اللغوى إلاّ إلى أن يعمد إلى نصوص اللغة ، فيقوم بجمعها واستقصائها ، ثمّ يأخذ فى تحليلها ، وبيان ما اشتملت عليه من عناصر يصفها وصفًا لُغويًّا ، ويُلاحظ ما بينها من علاقات ، وما تؤديه الكلمات من وظائف فى التركيب ، وما تدل عليه التراكيب من معان دون أن يتدخّل برأيه فى شئ من ذلك ، فمهمة الباحث تقف عند[الرصد ، والملاحظة ، والتحليل ، والوصف] فلا يتجاوز تلك النصوص إلى شئ آخرَ من فلسفة أو منطق ، أو أُمور غيبيّة لا سندَ لها من النصّ اللغويّ .

والبحث متعة لا يدرك حقيقتها إلاّ مَن خاض غمرات المجهول بحثًا عن الحقائق ، فإذا وصل إليها ارتاحت نفسه واطمأنَّ قلبه ، ولن تكون للبحث متعته ولذّته المرجوّة إلاّ إذا توافرت فيه الحريّة الكاملة الكافية ..

ودراسة البحث اللغوى على أُصُول وقواعد ثابتة دراسة مهمة للغاية ؛ وذلك لأنها تضعُ الباحث فى أوّل الطريق الجامعىّ على أُصشول البحث وقواعده وخطواته فى مجال البحث إلى أن يكتمل فى صياغة تامّةٍ ، سواء أكان بحثًا صفيًّا فى سنوات الجامعة،أم بحثًا لنيل درجة تخصُّصيّة معيّنة .

والبحث اللغوى ما هو إلاّ فرع من فروع البحث العلمى العام ، والعناية به تقتضى الاهتمام بالمصادر والمراجع ؛ لأنهما اللذان يؤخذ منهما مادة البحث .

ومن خلال القراءة والتصفُّح . وهو عمل الباحث . فى كتب التراث لجمع النصوص التى يتكوّن منها البحث ويقوم عليها ، ثم يقوم الباحث بتقييده فى أوراق محفوظة حتى لا ينفلت ما جمعه سريعًا إذا اعتمد على ذاكرته ... لذا قيل :

- العلمُ صيدٌ والكتابةُ قيدُهُ ..... قيد صيودك بالحبال الواثقة

فمن الحماقة أن تصيدَ غزالةً...وتعيدها بين الحدائق طالقة ثم مرحلة التنقيح والاختيار من بين النصُوص المكتوبة ما يكتمل به البحث المطلوب

فليس من الضرورى أن يضيف الباحث جديدًا إلى حقائق العلم والمعرفة ؛ لأنه قد لا يتمكن من

إضافة ذلك الجديد ، وتكون مهمته ـ حينئذٍ ـ إقرار حقيقة معروفة ، أو التأكد من صحّة قانون مسلّم يه ، ؛ لأنه ليس بلازم أن ما بحث مرّة لا يبحث ثانية ، أو ما حُقِّقَ مرّة لا يُحقّق ثانية ، وإلا لما تقدّم العلم خطوات إلى الأمام ، فكم من الحقائق التى كانت من المسلمات أضحت ـ بعد البحث والفحص ـ ليست بحقائق وإنما أوهام وظنُون . ... هذا وقد يأخذ البحث اللغوى ـ أحيانًا ـ شكلاً تفسيريًّا نقديًّا ، فيشتمل على الكثير من التعليلات والأدلّة المنطقيَّة بهدف الوصُول إلى حلول ، وذلك حينما يكون موضُوع البحث تقويم لغة أديب ـ مثلاً ـ وينبغى أن يتوفر فيه إلى جانب معرفته التّامّة والدقيقة بعناصر اللغة ـ قوّة الملاحظة ، وحدّة النظر ، والفطنة ، والخبرة ؛ لأن هذه الأشياء جميعًا تؤهله إلى التفسير النقدى ، والتعليل المنطقى ..

فقد يكون من أهداف البحث :

١. شرح البحوث السّابقة التى تحتاجُ إلى شرح وتوضيح وتفصيل

٢. إعادة صياغتها من جديد بأُسلُوب يناسب العصر .

٣. اختصار المطوّل منها دون أن يُخلَّ بشئ من معانيه .

٤ ـ إعادة ترتيبها وتوزيعها من جديد تسهيلاً على القارئ لها .

٥ ـ إجراء موازنة بينها ، وترجيح بعضها على بعض .

٦ ـ عمل تعليقات عليها تزيدها وضوحًا وفائدة .

٧ ـ تكوين موضُوع منظّم من مادة متناثرة .

البحث اللغوى عند العرب : **ليست الدراسات اللغويّة مبكرة عند العرب**؛ **وذلك لما يلى**:

أولاً : اعتمادهم على الحفظ ، وعلى مشافهة الأعراب ، وعلى التلقى.

ثانياً : ولأن اللغة العربيّة هى لغتهم المتوارثة منذ نعومة أظفارهم .

ثالثاً : ولأنَّ اللغة العربيّة لسان المحادثة والخطابة والشّعر لديهم .

رابعاً : ولكونهم أمّةً أُميَّةً لا عهد لها بالتدوين، ولا تدعو إليه الحاجة.

خامساً:توجيه اهتمامهم إلى العلوم الشّرعيّة والإسلاميّة منذ القرن الثانى الهجرى حيث بدأ علماءُ المسلمين يسجلون الحديث النبوى ويؤلّفون فى الفقه الإسلامى، ثم اتّجهوا إلى تسجيل العلوم غير الشّرعيّة ومن بينها اللغة والنّحو .. وذلك كله لخدمة النصّ القرآنى ..

سادساً: لم يُؤثر عن العرب أى نوعٍ من هذه الدراسات قبل الإسلام فلقد سبقتهم إلى تلك الدراسات أُممٌ كثيرة ... حتى نزول القرآن باللغة العربيّة لم يكن للعرب سبق تدوين لغتهم ودرسها ، ولم يكن لهم عهد بالتأليف ولا بالقراءة ، ولا بالكتابة، ولا بالحساب ، وقد أكّد ذلك الحبيبُ المعصُوم سيدنا" مُحمَّدٍ [ﷺ] فى حديثه:"إنَّا أُمَّةٌ أُميَّةٌ لا تقرأُ ولا تحسب".

فلما جاء الإسلام، وامتدّت فتوحاته بدت الحاجة إلى جمع اللغة وتفسيرها وإلى تعليمها ، وإلى الحفاظ عليها ممَّا قد يتسرّب إليها من اللحن الذى تفشّى نتيجة اختلاط العرب بغيرهم من العجم فى الأسواق عن طريق التجارة، والخطابة، ومجالس الشّعر، هذا وقد أنكر سيدنا عمر، وسيدنا علىّ(رضى الله عنهما) اللحن ؛ فرسِم الإمام لأبى الأسود الدؤلى عمل النحو وصناعته، فكان ذلك من الدواعى الملحة لوضع القواعد النحويّة التى تقى اللسان من الخطأ فى الأصوات ومعانى الكلمات والأساليب والقواعد التى فسد منها ما فسد ؛ فكان ذلك دافعًا داعيًا إلى جمع الألفاظ مؤيدة بمأثُور الكلام وبخاصّة الشّعر حتى تظلّ اللغة واضحةَ المعانى فيستعان بها على فهم ما قد يخفى من ألفاظ القرآن الكريم؛ لذا قيل:"إذا أُلبسَ عليكم شئ من القرآن فالتمسُوهُ فى الشّعر فإنى عربىّ"، وفى المزهر للسيوطى :" إذا سألتم عن شيء من غريب القرآن فالتمسُوهُ فى الشّعر؛ فإنَّ الشّعرَ ديوانُ العربِ"، إضافة إلى احتياج أهل البلاد المفتوحة الذين اعتنقوا الإسلام إلى تعلّم اللغة العربيّة؛ لفهم كتاب الله وسُنّة رسُوله مُحمَّدٍ [ﷺ] ؛ ليثبت ذلك الدين فى نفوسهم ويعرفُوا مبادئه وتعاليمه .

ومن هنا فإن لقاء اللغة العربيّة بلغات البلاد التى فتحها المسلمون أوجد تشوهًا فى أُصُولها ،

وفى طريقة أدائها، وإلى إهمال بعض الألفاظ العربيَّة واستعمال كلمات أجنبيَّة دخلت العربيّة للحاجة إليها فشاعت على ألسنة الناطقين بها من أهل تلك البلاد ، ثم دورانها فى الاستعمال العام وإهمال نظائرها العربيّة ، أو تقليدًا من العرب لما استعذبُوهُ من ألفاظ تلك اللغات الأخرى نتيجة اتّساع نطاق الاختلاط بالأعاجم .. ولا شك أن العربيّة صرعت لغات البلاد المفتوحة ـ كالفارسيّة فى العراق ، والروميّة فى الشّام والقبطيّة فى مصر ..

بُضاف أيضًا أن بعض العلماء أرادوا أن يُثبتوا براعة العربيّة ورقيّها على غيرها من اللغات وصلاحيتها للحياة والحضارة بجانب الحفاظ على دين الإسلام وكتابه المقدّس[القرآن الكريم]

فالخلاصة أن الدراسات الأوليَّة كانت تهدف إلى الحفاظ على النص القرآنى وفهم مدلوله ومعناه، ومنها نقط أبى الأسود الدؤلى للمصحف الشريف ..

ولا نغفل أن المدونين الأولين للغة دوّنوا المفردات حسبما اتفق، وبقدر ما يتيسّر لهم سماعًا، فقد يسمعون كلمة فى:[الفرس، والغيث، والأنواء والرجل القصير، والنبات، والشّجر، والإبل ، والخيل، والسّلاح] ، وهكذا يدونون بلا ترتيب ، ثم اتّجهوا بعد ذلك إلى التبويب، والتصنيف ، والتقسيم سواء بردها إلى النظائر،أو بحسب الموضُوعات ، ومنهم من اهتمّ بتسجيل الظواهر الخاصّة بالقبائل ، ومن هنا ظهرت جهودهم فى تكوين المعاجم اللغويّة وإنشائها ، وعلى رأس هؤلاء العالم اللغوى الخليل بن أحمد الفراهيدى [ت ١٧٠ أو ١٧٥ هـ] وكتابه " العين " بما حوى من تبويب للمادة اللغويّة واهتمام بالألفاظ والمفردات من حيث الجمع والتفسير والإحصاء ، وأيضًا العالم اللغوىّ ابن السرّاج [ت ٢١٦ هـ] فى أُصُول النحو ، وابن جنّى [ت ٣٩٢هـ] فى خصائص العربيّة ، وابن فارس[ت ٣٩٥هـ] فى فقه اللغة وأُصُولها وخصائصها ، بجانب نحوها وصرفها .

لكن الفكر العلمى المتوهج لم يزل يحسّ أن لغة العرب لم يُكشَف بعد عن كلّ أسرارها ، بل إنّ كلّ ما عرف من نحو وصرف وألفاظ إنما يمثّل فروعًا لم يصل البحث العلمى بعد إلى جذورها وأُصُولها والمعرفة العلميّة ، ولا تتمُّ بالفروع ، ولا تتحقّق بالجزئيَّات ..

<u>ومنذ نهاية القرن الرابع الهجرى</u> توالى التأليف فى متن اللغة وفقهها ولكن دون مناهج مبتكرة أومادة علميّة جديدة فى أغلب الأحيان ، وتبيَّن ذلك فيما تلاه من عصُور ..

<u>ففى القرن الخامس الهجرى</u> ظهرت مؤلّفات لغويَّة تحوى بحُوثًا متعلّقةً بفقه اللغة ومتنها ،كـ [كتاب فقه اللغة: للثعالبى ت ٤٢٩ هـ] بما فيه من اهتمام بمعانى الألفاظ، والكلمات المعربة، والمنسوبة، والمقارنة بين اللغات، ودرجة استعمال الألفاظ كثرة وقلّة،وغيرها من المباحث المتعلقة بمتن اللغة،وفقهها، واشتقاقاتها، ومجازاتها، والمعرب منها، ودلالة الألفاظ ،والمشترك اللفظى، والترادف،والتضاد، وقضايا الإبدال ، والمذكر والمؤنّث، والأصيل والدخيل ، والصّحيح والضّعيف ، وتداخل اللغات وتوافقها،والقلب والإبدال ، والنحت ، وغير ذلك من البحُوث اللغويّة كما فى كتاب [مبادئ اللغة للإسكافى ت ٤٢١هـ]، وكتاب[المخصّص لابن سيدة ت ٤٥٨هـ]، ومعجم" أساس البلاغة " للزمخشرى [ت ٥٣٨ هـ]..

وفى القرن السّابع ألَّف ابنُ منظور[ت ٧١١ هـ] كتابه " لسان العرب" وفى القرن العاشر ألّف السّيُوطى [ت ٩١١ هـ] كتابه " المزهر " فى علوم اللغة ..

وفى القرن الحادى عشر يؤلّف شهاب الدين الخفاجى كتابه " شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل .. وأعتقد أن معظم ما جاء من مؤلّفات بعد نهاية القرن الرابع كان نقلاً من علوم السّابقين وهى على كلّ حال دراسة مفيدة إلى جانب ما يبدو لأصحابها . أحيانًا . من آراء مدعمة بالكثير بما

ورد فى كتب السّابقين ..

ومع تقسيم الدولة العباسيّة إلى دويلات ثم سقوطها واستيلاء غير العرب على مقاليد الحكم فى البلاد أخذت الحركة العلميّة تخبو ، وفرّ مَنْ فرَّ من علماء القطرين[المشرق والمغرب]إلى مصرَوالشّام بعد سقوط الخلافتين العباسيَّة والأندلسيَّة،وضاعت معظم المؤلّفات،وذهب جُلُّ الكتب فى الفتن الكائنة من التتار وغيرهم .. وبذا ضعفت تلك النهضة العلميَّة وركدت الحركة اللغويَّة العربيَّة ؛ نتيجة اهتمام الأتراك بلغتهم التركيَّة والعمل على إضعاف اللغة العربيّة ، وإن كانت حركة التأليف موجودة ومستمرّة فى النقل عن السّابقين، أو تلخيص ما قالُوه ، أو شرحه ، أو التعليق عليه .

بدأت الحركة العلميّة فى الظهور فى العصر الحديث بعد مجئ الحملة الفرنسيّة ورحيلها عن مصر، فانتشر التعليم ، وأُوفدت البعثات العلميَّة إلى أُوربا ، ونما الاتّصال الفكرى بين العرب والغرب، واستجلاب العلوم الغربيَّة الحديثة إلى مصر، كعلوم اللغة،وعلم الطباعة، وظهور الصحافة والمسرح ودور الخيالة، ثم دور الإذاعة، ممّا كان له الأثرُ الأكبر فى ذيُوع اللغة العربيَّة ، وارتقاء الفكر ، وغزارة المعارف ، فظهرت الحاجة إلى مناقشة قضايا اللغة لتفى بحاجة المجتمع ، فأنشئت المجامع اللغويّة فى مصر والعراق وسوريا ، وكان لذلك فضل كبير فى نهُوض الدراسة اللغويّة وظهور بحوث علماء اللغة المحدثين كدراسة أصوات اللغة وتراكيبها ودلالاتها، ودراسة اللهجات ، وبادرت الجامعات المصريَّة فى تدريس هذه العلوم على الطلاب ، وحثّ طلبة الدراسات العليا فى التنقيب عن تراث الأجداد ، ومدى التأثير والتأثّر

تنوعت البحوث اللغويّة عند العرب خوفًا من اللحن، وحفاظًا على كتاب الله تعالى ، *وقامت دراسات متنوعة للغة* ، منها :

أولاً :جمع الألفاظ :

أ . جمع الألفاظ من البادية لأخذ اللغة من الأعراب الفصحاء وتدوينها صافيةً دون شوائب العجمة نتيجة الفتوحات الإسلاميَّة واختلاط العرب بغيرهم من الأُمَم ، وتشمل ألفاظًا خاصّة ببعض

الموضُوعات كما فعل الأصمعى وأبو خليفة الدينورى وأبو زيد فى أسماء الوحوش والنبات والشّجر، والإبل والخيل، والسّلاح ، والأنواء، والغرائز، والجرائم .

ب . جمع الألفاظ الموضُوعة لمختلف المعانى كما فعل ابنُ السكيت فى الألفاظ، والهمذانى فى الألفاظ الكتابيَّة، والإسكافى فى مبادئ اللغة، وابنُ سيدة فى المخصّص .

ج ـ جمع ألفاظ اللغة على نظام معجمى دقيق ومنظم ومشروح شرحًا وافيًا مؤيّدًا بمأثُور الكلام شعرًا ونثرًا : قرآنًا وحديثًا ... وقد جاء على يد الخليل فى أوّل معجم عربى[العين]،وسار على دربه الأزهرى فى تهذيبه والقالى فى بارعه، وابن سيدة فى محكمه، وابن دريد فى جمهرته ،كما انتهج الجوهرى فى صحاحه طريقة القافية، وحذا حذوه الفيروز أبادى فى قاموسه، وابن منظور فى لسانه..وطريقة الأبجدة عند ابن فارس فى مقاييسه ومجمله،والزمخشرى فى أساسه،والفيومى فى مصباحه وغيرهم من أرباب المعاجم الحديثة.

ثانياً : وضع القواعد التى تقى اللسَان من الخطأ :

وقد قامت به طائفة من العلماء لتصحيح الخطأ اللغوى والحفاظ على طبيعة السليقة العربيّة؛ حتى لا يقع متعلمها فى اللحن، ولتستقيم الألسنة عليها .... ويتم ذلك عن طريق وضع القواعد اللغويَّة الخاصَّة بالمفردات [الاسميّة،والفعليّة،والحرفيَّة]والتراكيب العربيَّة كما نطقها العربىّ الفصيح وقد أُطلق على ما يختصُّ منها بمواقع الكلمات والجمل [علم النّحو] وما يختصّ ببنية مفردات اللغة[علم الصّرف]وتعدّدت البيئات اللغويَّة فاشتهرت البصرة، والكوفة ،وبغداد ،والأندلس، ومصر، وغيرها.. وتعدّدت المناهج العلميَّة والمذاهب حيث اعتمد البصريُّون على دراسة الظواهر النّحويّة دراسة وصفيَّة تحليليَّة معتمدين فى دراسة الظاهرة على الكثرة من الشّواهد التى تؤكّد القاعدة التى رأوها ... بخلاف الكوفيين الذين كانوا يكتفون بالشّاهد الواحد ولو لم يُعرف قائله ... ويراه البعض من الباحثين أنه بعيدٌ عن الدرس اللغوى الصّحيح، أى: لا يتفق والبحث العلمى السّديد؛ لما جاء به من تكثير للقواعد ، وتضاربها فى بعض الأحيان ... ثم فريق البغداديين الذى وقف بين الفريقين السّابقين فأخذوا منه ما يوافق هواهم وما يحلو لهم موفقين بين المذهبين فى كثير من قضايا النحو ومسائل الصّرف ... كما أسهمت الفرق الأخرى[الأندلسيون، والمصريون] بآراء لا يُستهان بها .. حتى جاء المتأخرون من أعلام اللغة أمثال الزمخشرى فى المفصل،وابن الحاجب[ت ٦٤٦هـ] فى الكافية والشّافية وابن مالك[ت ٦٧٢ هـ] فى التسهيل والألفيّة، وابن هشام[ت٧٦١ هـ] فى قطر النّدى وشذور الذهب، وأوضح المسالك، ومغنى اللبيب ..

وأعتقد أنها لا تعدو أن تكون دراسات أوليَّة تعليميَّة ؛ لأنها لا تتعدّى أن تكون إصلاح الأخطاء ، وتقويم اللسان إلى جوهر اللغة ..

ثالثا : الاهتمام بالقراءات القرآنيَّة :

وقد قامت به طائفة من العلماء[القرّاء ، وعلماء القراءات] لمعرفة أُصُول علم القرآن، وطريقة أدائه حسب الوجوه المروية فيه عن رسول الله مُحمَّدٍ [ﷺ] وكثرعلماء القراءات واشتهروا بالعدالة والأمانة والضبط، وألّفوا فى القراءات فظهر كتاب الحجة لابن خالويه[ت ٣٧٠ هـ] والحجة لأبى على الفارسى، والمحتسب لابن جنّى.. ثم تتابعت الكتب فى القراءات، كاالكشف لمكى ابن أبى طالب [ت ٤٣٧هـ] ، وجامع البيان لأبى عمروعثمان بن سعيد الدانى [ت ٤٤٤هـ] والكافى فى القراءات السبع لأبى القاسم الإشبيلى[ت ٤٧٦هـ] ، والشّاطبيّة لأبى القاسم الشّاطبى[ت٥٩٠هـ] والنشر وغاية النهاية فى طبقات القرّاء للجزرى[ت٨٣٣ هـ] وغيرها من الكتب..والقراءت حفظت أصوات اللغة العربيّة ؛ لأنها تمثل النطق العربى الأصيل لهذه اللغة .

رابعاً : الدراسة البلاغيَّة :

وتختصّ بحوثها ببيان فصاحة الألفاظ وجزالتها،وحسن الأساليب، وموقع كل لفظٍ فيها ، ومناسبتها لمقتضى الحال وظهورها فى ثوبٍ لائقٍ بديع وقد قامت هذه البحوث على دراسة الإيجاز والإطناب ، ودراسة علوم المعانى والبيان والبديع ، وأُلّفت الكتب فى مجاز القرآن لأبى عبيدة [ت ٢٠٩هـ]، وإعجاز القرآن للجاحظ[ت٢٥٥ هـ] والبديع لابن المعتز [ت ٢٦٩هـ]،والصّناعتين لأبى هلال العسكرى[ت٣٩٥هـ]،ودلائل الإعجاز وأسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجانى[ت٤٧١ هـ] ومفتاح العلوم للسكاكى[ت٦٢٦هـ] وتلخيص المفتاح للخطيب القزوينى[ت ٧٣٩هـ] .. وغيرها من المؤلّفات .

خامساً : الدراسة الأدبيَّة والنقديَّة :

اهتمّ علماء العرب بدراسة نراثهم الأدبى الذى يعى ثروتهم اللفظيَّة ومادتهم الفكريَّة،وأحوالهم الاجتماعيَّة، وعاداتهم، وتقاليدهم، والأخبار والحوادث الاجتماعيَّة التى تبيّن حال الأُمّة العربيّة وأمجادها وانتصاراتها وتكشف عن مستواها الفكرى والحضارى. مستمدّة من مأثُور كلامهم ومن سجل تاريخهم الحافل ..

ونشأ من ذلك علم تاريخ الأدب فقام بدراسة الشّخصيَّات الأدبيَّة ـ للشعراء ، والخطباء ، والكُتَّاب ، متناولة حياتهم ، والمؤثرات عليها والموازنة بينهم ، والموازنة بين نتاجهم من الناحية الأدبيَّة والفنيَّة .. وفى هذا الشّأن أُلِّفت كتبٌ عديدة يرجع إليها فى علم الأدب والنقد ..

أهمية البحث:

أولاً: اكتشاف المشكلة:

يعتبر اكتشاف مشكلة وتحليلها شرطًا مسبقًا لإجراء أي بحث؛ لأن الشعور بالمشكلة هو الدافع الذي يستنير البحث، والطالب لا يستطيع أن يكتشف المشكلة إلا إذا كان مهتمًّا بموضوع ما اهتمامًا زائدًا يدفعه فضوله الفكري لمتابعته إن وجده مكتوبًا أو ملاحظًا أو معاشًا على الواقع، ويعتبر الاطلاع والملاحظة المبدئية أمرين مهمين لتنمية المشكلة في طريق التعرف عليها .

ثانياً: التعرف على المشكلة

لا يمكن أن تحل المشكلات إلا إذا كان الباحث يتمتع بموهبته فى إدراك العوامل المحددة التي أدت للمشكلة أو الصعوبة، ويعتبر تعيين المشكلة وتحليلها خطورة كبيرة إلى الأمام، مع اعتبار الاطلاع والملاحظة المبدئية أمرين مهمين لتنمية المشكلة في طريق التعرف عليها..

ثالثاً: التحديد الدقيق للمشكلة:

على الباحث أن يخصص مشكلة بحثه إلى الحجم الذي يجعل معالجته ممكنة ، ولا يتم ذلك إلا بتقنية خاصة، منها :

أ - تحليل المشكلة إلى مكوناتها اليسيرة.

ب - جمع المعلومات التي قد تعين على فهم المشكلة.

ج - اشتقاق المعاني من المعلومات.

د - تمحيص الافتراضات الكامنة وراء المكونات المقترحة ..

رابعاً: عرض المشكلة:

تؤدي المشكلة المصاغة بطريقة غامضة أو مبهمة إلى إرباك الباحث بدلًا من أن ترشده إلى مصادر المعلومات اللازمة لحلها.... ويتطلب وصف للمشكلة عناية فائقة ؛ فالهدف هو عرض الأبعاد الدقيقة للدراسة في صورة لفظية تستخدم مفاهيم ومصطلحات محددة. على أن يصوغ

الباحث السؤال الرئيسي والأسئلة المحورية والفرعية التي ينبغي أن يجيب عليها لكي يحل المشكلة..

. هنالك ثلاثة اعتبارات لا بد من توفرها في صياغة المشكلة ، وهي:

- يجب أن تحدد المشكلة علاقة بين متغيرين أو أكثر.

- يجب أن تصاغ المشكلة بوضوح وتوضع في شكل سؤال حتى يسهل تحديدها

-يجب أن يعبر عن المشكلة بحيث يتضمن ذلك إمكانية اختيارها .**الحقيقة أن هنالك عدة أسس ومعايير يقوم عليها اختيار المشكلة ، هي**:

- الإحساس بالصعوبة.

. وضوح الإشكال وتحديده.

- الأصالة والعمق.

- الفائدة المرجوة والإضافة الحقيقية للعلم ..

- الجدة والطرافة ، بمعنى أنها غير مسبوقة (لم تحل من قبل)..

- تراعى الإمكانيات المادية والعقلية والنفسية الخاصة أسئلة البحث..

: إن أهمية صياغة مشكلة البحث في سؤال مركزي يمكن من فهمها إذ لا تتضح مشكلة البحث تمامًا إلا من خلال طرح مجموعة من الأسئلة المحورية التي تشكل الإجابة عليها حلاً للمشكلة.

على الباحث الذي يريد أن يصل من خلال بحثه إلى نتائج مرجوة الفائدة أن يطرح على نفسه مجموعة من الأسئلة التي تدور حول محور الموضوع تشكل الإجابة المبدئية عليها فروض البحث **فروض البحث**..

- بناء الفروض تعتبر مرحلة صياغة الفرض واختبار صحتها أو خطئها من أهم المراحل المنهجية عن تخطيط البحوث والفروض اصطلاحًا هي حلول مقترحة او نبوءة علمية لحل مشكلة الأصل أنها تقديرات تتكون من عناصر صيغت كنظام منسق من العلاقات التي تحاول تفسير حالات أو أحداث لم تتأيد بعد عن طريق الحقائق.

. إن الفروض تتضمن حقائق ولكنها تسمو على الحقائق المعروفة لتعطي تفسيرات مقبولة لأوضاع مجهولة..

-**أهمية الفرض**-: إن فائدة الفروض تبدأ في تنظيم جهود الباحث. وتعينه على تركيز ملاحظاته لاكتشاف العلاقة بين المتغيرات التي ترتبط ببحثه دون تشتت فيقوم الباحث بجمع المعلومات المناسبة لهذه الفروض فيكون أكثر تحديدًا ، وتكون جهوده أكثر إثمارًا ، ويكون بحثه منطقيًا

الفصل الثاني

فقه اللغة

علم العربية

وجهود علماء العربية

تمهيد :

اهتم الباحث اللغوي العربي بالدراسات اللغوية العربية ، لصلاتها الوثيقة بلغته وتراثه العربي والإسلامي ، فقد وازن بين اصطلاحات ثلاثة :

(علم – فقه–لغة) [٣٧] ، حتى يصل إلى الغاية المنشودة من دراسات علماء العربية للغة ، ويتضح له مفهومها .

فالعلم اصطلاحاً :

يطلق على البحث الذي يتناول دراسة مجموعة من الظواهر لمعرفة حقائقها ووظائفها ، وعلاقتها بغيرها ، وتطورها ، وأسباب ذلك ونتائجه ، على جهة الوصف التحليلي .أما ما يتجه إلى التطبيق والاستفادة من دراسة الظواهر فإنه يسمى" فنًا " .

فقه اللغة :

هو العلم الذي يكشف أسرار اللغة ومعرفة قوانين حياتها ، وسر تطورها ، ودراسة ظواهرها المختلفة : تاريخية ، ووصفية ، كما يهتم بدراسة ، ومعرفة الخصائص النحوية ، والصرفية والصوتية ، والدلالية ، وغيرها من أنظمة اللغة .

أي أنه يشمل كل الدراسات اللغوية :

كالبحث في نشأة اللغة والاحتكاك ، والأصوات ، ودلالة الألفاظ ، والتر اكيب النحوية ، وعلاقة الجمل بعضها ببعض ، ودراسة الأساليب البلاغية ، ويطلق عليه في الغرب (فيولوجي)[٣٨].

كما يبحث فقه اللغة في مسائل :

كـ (الإبدال ، والقلب ، والنحت ، والتصحيف ، والاشتراك ، والترادف ، والاشتقاق ، والقياس والاطراد ، والشذوذ وغيرها .

وفقه اللغة هو : العلم الذي يبحث عن الألفاظ العربية ومعانيها وتراكيبها وعن المباحث العامة التي تتعلق بها في أطوارها المختلفة .

([٣٧]) فمادة (علم) تفيد الفهم الدقيق والمعرفة والخبرة بالشيء

والمَعلَم لغة : الأثر يستدل به على الطريق ، وعلمت الشيء : عرفته وخبرته وشعرت به ، وأتقنته ، والمتعلم : الإنسان أول دخوله في العلم ، والعالم : الإنسان طالت مزاولته للعلم ، والمعالم : الآثار التي تدل على شيء ما معنويًا أو ماديًا .

أما مادة (فقه) : فتفيد العلم والفهم ، والفقيه : العالم ، والأنثى : فقيهة من نسوة فقائه وفقهاء ، وفقهت الحديث أفقهه إذا فهمته ، (وفقه) بضم القاف : صار فقيهًا والوصف : فقيه ، وفاقهته ، أي : باحثته في العلم .

انظر : لسان العرب والمصباح المنير – مادة (ف ق هـ) .

(فقه) مادة (ف ق هـ)كما ورد في لسان العرب : الفقه : العلم بالشيء والفهم له ، وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله ، على سائر أنواع العلم ، وأصل الفقه : الفهم ، وفقه فقهًا ، بمعنى : علم علمًا ، وفي المعجم الوسيط : الفقه : الفهم والفطنة والعلم ، وغلب على علم الشريعة و أصول الدين.

([٣٨]) قد عرف (فقه اللغة) في العالم العربي الحديث في الجامعة المصرية حين ألقى (جويدى) محاضرته بالجامعة المصرية في ١٩٢٦/١٠/٧ ، ورأى أن كلمة (فيولوجي) يصعب ترجمتها للعربية ، وقد تعني دراسة الصرف والنحو والنقد والأدب واللغة والحياة العقلية ، فيدخل في دائرة الفيولوجي (علم اللغة) وفنونها المختلفة ، كتاريخ اللغات ، ومقابلة اللغات ، والنحو والصرف ، العروض ، وعلوم البلاغة ، وعلم الأدب ، وتاريخ الأدب ، وتاريخ العلوم ، وتصنيفها ، والتدوين .

✿ هذا وقد شاع ذكر هذا المصطلح (فقه اللغة) في كتب العربية قديمها وحديثها ، ويطلق على نوع من البحوث اللغوية كالكلام في أصل ونشأة اللغة ، وخصائصها ، وتداخل اللغات وتوافقها وتنوعها فروعًا ولهجات وقضايا لغوية أخرى كالقياس ، والاطراد، والشذوذ، والاشتقاق، والترادف، والمشترك اللفظي والمعنوي، والفصيح من الكلام ، والمصنوع والدخيل ، والمعرب والمولد ، والقلب ، والإبدال ، والنحت ، والتصحيف ، والتحريف ، وغير ذلك من الموضوعات التي يشملها فقه اللغة [٣٩] .

وفقه اللغة مصطلح له وجود تاريخي في تراثنا العربي .

✿ فقد سمى به كتاب لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) : " الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلاهما " وهو يضم أبحاثًا شتى في اللغة العربية في الخط العربي ، وفي اللهجات، واختلاف اللغات ، والفعل ، والحرف ، ومعاني بعض الأدوات والحروف ، كالتاء ، والفاء ، وإنما ، وإلا ، وإذا ، وغيرها ، وقد جزم د/ عبده الراجحي بأن أول من أطلق وابتكر هذه التسمية ، أو هذا المصطلح ، هو أحمد بن فارس .

كما سمى به كتاب لأبي منصور الثعالبي (ت٤٣٠هـ) : " فقه اللغة وأسرار العربية " ويضم في قسمه الأول : الألفاظ الخاصة بالنبات والشجر، والطعام والثياب ، وبعض الألفاظ الأجنبية التي دخلت العربية عن طريق الفارسية ، ويضم قسمه الثاني أبوابًا عن : التقديم ، والتأخير والإضافة والكناية والاستعارة والنعت والاشتقاق والابنية .

والواقع :

أن ما ذكر في هذين الكتابين يوضح خصائص اللغة العربية وأسرارها الدقيقة ، وأن هذه العبارة لم تتخصص في نوع من فروع الدراسات اللغوية المعروفة لدى القدماء كالأصوات والنحو والصرف والمعاجم .

أضف إلى هذين الكتابين كتاب الخصائص لابن جني ، وكتاب المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي، وقد تناولت هذه الكتب كثيرًا من قضايا اللغة العربية ، بالإضافة إلى ما يتصل بتحديد مفهوم اللغة ونشأتها وعوامل تطورها ..

مما يؤيد ما ذهب إليه العلماء في مفهوم (فقه اللغة) عند القدماء ، من أنها لم تكن تدل على منهج واضح ، أو نظرة عامة في تناول الدرس اللغوي .

.....

([٣٩]) راجع : قضايا لغوية – د/كمال بشر – ص٢ وما بعدها ، مقدمة في علوم اللغة – د/ البدراوي زهران – ص ١٢٧ وما بعدها .

" منهج فقه اللغة "

قيل : إنه منهج للبحث استقرائي وصفي يعرف به موطن اللغة الأول، وفصيلتها وعلاقتها باللغات المجاورة ، أو البعيدة الشقيقة أو الأجنبية وخصائص أصواتها ، وأبنية مفرداتها وتراكيبها ، وعناصر لهجاتها ، وتطور دلالتها ، ومدى نمائها قراءة وكتابة .

وتتعلق بحوثه بعلوم التاريخ لمعرفة موطن اللغة الأول وروابطها باللغات الأخرى، واللهجات ثم علم الأصوات ، ثم علم الدلالة لبحث تطور الألفاظ ، وما تفيده من المعاني[٤٠].

" مراحل التأليف في فقه اللغة "

مر التأليف في فقه اللغة العربية بعدة مراحل شهدت كثيرًا من علماء (قدماء ومحدثين) قدموا دراسات مفيدة لأبناء العربية

أولًا : **مرحلة الرعيل الأول** :

بدأت على يد الخليل صاحب كتاب العين ، وتلميذه سيبويه (ت١٨٠هـ) ، وما قدمه الأصمعي (ت ٢١٦هـ) في كتابه الاشتقاق ، وابن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ) في الاشتقاق ، والزجاجي (ت٣٣٧هـ) في كتابه الاشتقاق .

وبعض المؤلفات عن ظواهر لغوية متأثرة كالترادف والتضاد والقلب والإبدال وغيرها ، وجدت في مؤلفات الرعيل الأول من هذه المرحلة أمثال : أبو زيد الأنصاري (ت ٢١٥ هـ) ، وأبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩ هـ) ، وأبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) ، وابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) ، وغيرهم .

ثانياً : **مرحلة النضج والازدهار** :

وهي مرحلة العصر الذهبي للغة ، على يد ابن جني ، في كتابه " الخصائص " الذي بحث في أصل اللغة ونشأتها ومقاييسها ، ثم على يد أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) في كتابه " الصاحبي في فقه اللغة " ، وسنن العرب في كلامها – معالجًا مسائل فقه اللغة العربية وخصائص العربية النحوية والبلاغية والصرفية ، وظواهر أخرى كثيرة في اللغة .

يجعل الكثيرين يقولون : بأن الدراسة الواسعة لموضوعات فقه اللغة لا تكاد تبدأ إلا في عمل هذين العبقريين المتعاصرين : ابن جني، وأبي الحسين بن فارس بن زكريا.

ثالثاً : **مرحلة الضيق والانحسار** :

تناثرت بعض قضايا فقه اللغة في كتاب الثعالبي (ت ٤٢٥ هـ) فقه اللغة وسر العربية ، وهي تسمية تجوزا ، فما فيه معاجم إلا قليل مما يخص فقه اللغة العربية ، كذلك في كتاب " المخصص " لابن سيدة (ت ٤٥٨ هـ) بعض المسائل : كالترادف والاشتراك ، والتعريب والاشتقاق ، والتذكير ، والتأنيث ، والمقصور والممدود ، وغيرها ، ثم كتاب أبو منصور الجواليقي (ت ٥٢٩ هـ) حيث قضية التعريب وبعض الألفاظ المعربة ، وسميت المرحلة بذلك لضيق مفهوم " فقه اللغة " فيها ، وجعله في مسائل محدودة .

([٤٠]) انظر : فقه اللغة – د/ صبحي الصالح .

رابعاً: مرحلة العودة إلى الازدهار :

وذلك على يد الإمام السيوطي (ت٩١١ هـ) في كتابه " المزهر في علوم اللغة "، وهو يتناول كثيرًا من البحوث اللغوية في فقه اللغة : نشأة اللغة ، المصنوع – الفصيح– الحوشي – الغريب – المستعمل – والمهمل – وتوافق وتداخل اللغات – المولد – المعرب – الاشتراك – الترادف – التضاد ، الاشتقاق ، القلب – الإبدال – النحت ، ويعد الكتاب دائرة معارف في فقه اللغة.

ثم كتاب " شفاء الغليل في الدخيل من كلام العرب " لشهاب الدين الخفاجي ، ثم كتاب " الجاسوس على القاموس " ل أحمد بن فارس الشدياق في نقد المعاجم المتقدمة ، ثم كتاب " سر الليال في القلب والإبدال "

وكلها كتب تدل على نهضة لغوية أثمرت جهودًا رائعة في خدمة اللغة العربية، وعلم اللغة بشكل عام

خامساً : مرحلة المعاصرة :

هي التي أنشئت فيها المجامع اللغوية العربية في مصر وسوريا والعراق ، وأوفدت فيها البعثات لأوروبا وأمريكا، ودعوة المستشرقين للتدريس في الجامعات المصرية والعربية – دراسات لغوية حديثة – وقد انعكس ذلك كله على جهود المحدثين من العرب في التأليف في موضوعات " فقه اللغة العربية ، وعلم اللغة العام .

" جهود علماء العربية في (فقه اللغة)[٤١] "

اسم " فقه اللغة " قديم عند العرب فقد سمى (الثعالبي) (ت٤٢٩ هـ) كتابه " فقه اللغة وأسرار العربية " ، " وقبله أحمد بن فارس " (ت٣٩٥ هـ) كتابه " الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامهما " ، وقد شمل مسائل في فقه اللغة ، كنشأة اللغة وخصائص العربية واللهجات ، والفصحى والعامية العربية ، والقياس والاشتقاق في اللغة العربية ، وآثار الإسلام في اللغة العربية ، والترادف ، وحروف الهجاء العربية ، وحروف المعنى ، وعليه قامت كتبُ كثيرةٌ ، كالاشتقاق ، ومقاييس اللغة وهي من صميم فقه اللغة

كذلك تأليف" ابن جني" (ت٣٩٢ هـ) من قبلهم ، لكتابه" الخصائص" ويضمُّ بحوثًا لُغوية قيمة كأصل اللغة ، ومقياس العربية والقياس ، والاشتقاق ، كما ألف ابن سيدة كتابه " المخصص" وضم الترادف ، والاشتراك ، والاشتقاق ، والتذكير ، والتأنيث ، والمقصور والممدود ، وكذلك البحوث اللغوية الواسعة في كتاب " المزهر " للإمام السيوطي .

([٤١]) في فقه اللغة العربية – د/ رمضان عبد التواب .

جهود علماء العربية المحدثين :

للمحدثين من العرب جهود مشكورة ، في التأليف في موضوعات فقه اللغة العربية وعلم اللغة العام ، والترجمة فيهما من اللغات الأجنبية المختلفة .

وهذه قائمة بأهم المصادر العربية في الدرس اللغوي،مرتبة على حسب أسماء أصحابها :

الدكتور إبراهيم أنيس :

الأصوات اللغوية – في اللهجات العربية – دلالة الألفاظ – من أسرار اللغة – مستقبل اللغة العربية المشتركة –

طرق تنمية الألفاظ في اللغة – اللغة بين القومية والعالمية .

الدكتور إبراهيم السامرائي :

دراسة في اللغة – الفعل : زمانه وأبنيته – التطور اللغوي التاريخي – التوزيع اللغوي الجغرافي – العربية بين أمسها وحاضرها – مقدمة في تاريخ العربية – مباحث لغوية – فقه اللغة المقارن .

الدكتور أحمد حسين شرف الدين :

اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام – لهجات اليمن قديمًا وحديثًا .

الدكتور أحمد علم الدين الجندي	اللهجات العربية في التراث
د/ أحمد عيسى	التهذيب في أصول التعريب
د/أحمد مختار عمر	من قضايا اللغة والنحو : دراسة الصوت اللغوي
د/محمد المبارك	فقه اللغة وخصائص العربية
الشيخ أمين الخولي	مشكلات حياتنا اللغوية
الأب أنستاس ماري الكرملي	نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها
أنيس فريحة	اللهجات وأسلوب دراستها
د/تمام حسان	مناهج البحث في اللغة – اللغة بين المعيارية والوصفية : اللغة العربية : معناها ومبناها
جورجي زيدان	الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية : اللغة العربية كائن حي : اللغة العربية كائن حي العرب قبل الإسلام
د/حسن ظاظا	اللسان والإنسان – الساميون ولغاتهم
د/حسن عون	اللغة والنحو
د/حسين نصار	المعجم العربي : نشأته وتطوره
د/خليل يحيي نامي	دراسات في اللغة العربية
د/داود عبده	أبحاث في اللغة العربية
د/ ربحي كمال	التضاد في ضوء اللغات السامية

د/السيد يعقوب بكر	دراسات في فقه اللغة العربية – دراسات مقارنة في المعاجم العربي
د/ صبحي الصالح	دراسات في فقه اللغة
د/ محمود السعران	علم اللغة : مقدمة للقاريء العربي
د/رمضان عبد التواب	لحن العامة والتطور اللغوي – التذكير والتأنيث في اللغة – فصول في فقه اللغة – التطور اللغوي وقوانينه – اللغات السامية – لنولدكه (ترجمة) فقه اللغات السامية لبروكلمان(ترجمة) العربية ليوهان فاك (ترجمة)
/ عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء)	لغتنا والحياة
د/عبده علي الراجحي	اللهجات العربية في القراءات القرآنية
د/ عبد الرحمن أيوب	محاضرات في اللغة – اللغة والتطور أصوات اللغة العربية ولهجاتها – دراسات نقدية في النحو العربي
د/ عبد الصبور شاهين	دراسات لغوية – في التطور اللغوي المنهج الصوتي للبنية العربية العربية الفصحى لهنري فليش (ترجمة) – في علم اللغة العام
د/عبدالله أمين	الاشتقاق
د/ عبد السميع محمد أحمد	المعاجم العربية
د/ عبدالله ربيع محمود	علم اللغة ومناهجه
د/ عبد الغفار حامد هلال	مناهج البحث في اللغة والمعاجم علم اللغة بين القديم والحديث
د/ عبدالله درويش	المعاجم العربية
د/ عبدالله العلايلي	مقدمة لدرس لغة العرب
د/ عبد الوهاب حمودة	القراءات واللهجات
د/ عدنان الخطيب	المعجم العربي بين الماضي والحاضر
د/ علي عبد الواحد وافي	نشأة اللغة عند الإنسان والطفل
د/ علي القاسمي	علم اللغة وصناعة المعجم
د/ كمال محمد علي بشر	قضايا لغوية – دراسات في علم اللغة

	علم اللغة العام (الأصوات)
د/ محمد أحمد أبو الفرج	مقدمة لدراسة فقه اللغة
د/ محمد الأنطاكي	دراسات في فقه اللغة
د/محمد المبارك	فقه اللغة وخصائص العربية
د/ محمود فهمي حجازي	علم اللغة العربية – مدخل إلى علم اللغة اللغة العربية عبر القرون

وفي كل هذه المؤلفات كان اهتمام الباحثين منصبًا على دراسة المفردات دون الجمل ، أو التراكيب ، حتى جاء القرن الرابع الهجري بثقافته المتسعة ، وعلومه الكثيرة ، نتيجة امتزاج الثقافة العربية بالأجنبية ، مما سهل على علماء العرب أن يحصلوا على كتب الأجانب ، وأن يطلعوا عليها بما فيها من دراسات في الفلسفة ، والنجوم ، والرياضيات ، والفلك ، والطب ، فوسع ذلك فكرهم ، وأوقد عقولهم ، وسارت دراسة اللغة إلى نحو جديد يتناسب وحاجات العصر ومناهجه ، فظهرت في العصر الحديث والمعاصر بحوث قيمة ، ومؤلفات جليلة في اللغة ، قام بها مستشرقون وعلماء عرب– قام معظمها على دراسات وصفية تعني بدراسة البحوث السابقة [٤٢]

لماذا علم اللغة ؟

جاء الإسلام ، وامتدت فتوحاته ، واختلط العرب بالعجم ، ففشا اللحن ، وبدأ يتسرب إلى ألسنة المتكلمين بالعربية ، فتم وضع القواعد النحوية التي تقي اللسان من الخطأ .

ولأن لقاء العربية بلغات البلاد المفتوحة أوجد تشوهًا في أصواتها وطريقة أدائها ، مما أدى إلى إهمال بعض الألفاظ العربية ولا شك أن العربية صرعت لغات البلاد المفتوحة ، وبدت آثار هذا الصراع على العربية بذيوع اللحن ، والفساد ، وشمل ذلك الأصوات ومعاني الكلمات والأساليب والقواعد التي فسد منها ما فسد ، ودخل عليها ما دخل ، مما دفع المهتمين بالعربية للحرص والمحافظة عليها ، فقاموا بجمع وتدوين ألفاظها ، وطرائقها في التعبير ، خوفًا من طمس معالمها ، فهي لغة القرآن الكريم ، مفجر علوم اللغة في التراث العربي .

لذا قامت حولها الدراسات اللغوية المتعددة ، واستنبط القواعد العربية منها في المفردات والتراكيب والأسلوب والدلالة ، وبيان الأصيل منها والدخيل ، والاهتمام بشرح القرآن الكريم ، وجمع الحديث ، وعلوم الدين واللغة العربية .

كل تلك الدراسات قامت حفاظًا على كتاب الله ، والوصول إلى ما يحتويه من أحكام ، فكانت أبحاثهم العملية عن طريق قراءة القرآن عن طريق التلقي والعرض أسبق من وضع كتب تحدد منهج القراءات ، وكان الفقه أسبق من الأصول .

([٤٢]) هكذا توالى التأليف في متن اللغة وفقهها .

إذن الدراسات اللغوية العربية تطورت بحيث نراها بادئة بما هو عملي من حيث جمع الألفاظ وضبطها ، ثم دراسة التراكيب اللغوية قبل الوصول إلى منهج عام في درس اللغة ، فمعالم النشأة للحياة العلمية العربية تنبع من داخلها ، وليس من خلال تأثيرات خارجية أغلبها مزعوم أو ليس له القدرة على أن يصمد أمام النقد العلمي الصحيح ، فالعلوم العربية نشأت متصلة مترابطة منذ البداية ، ثم تطورت بعد ذلك في مناخ عقلي عام صنعته حياة العرب .

وأريد أن أقول : إن فهم المنهج العربي في علومهم العربية يجب أن يلتمس من داخل الحياة العقلية العربية ، والمناخ العقلي العام الذي نشأ وتطور وتأصل في ظل النص القرآني .

وأقول أيضاً : إن هناك فرقًا بين علم يسعى (لفهم) النص ، وعلم يسعى (لحفظه) من اللحن فلو كان الثاني لما أنتج العرب هذه الثروة الضخمة في مجال الدرس اللغوي ، أما محاولة الفهم هي التي حددت مسار المنهج ؛ لأنها ربطت درس اللغة بكل المحاولات الأخرى التي تسعى لفهم النص ، وما من كتاب إلا وينبه في مقدمته إلى امتلاك أدوات الدرس ، وأولها علوم العربية

ولذا أرى الثعالبي ، يقول : " والعربية خير اللغات والألسنة ، والإقبال على تفهمها من الديانة ، إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين ، وسبب إصلاح المعاش والمعاد ، ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها ، والوقوف على مجاريها وتصاريفها ، والتبحر في جلائلها ودقائقها إلا قوة اليقين في إعجاز القرآن ، وإثبات النبوة لكفى بها فضلا يحسن أثره ، ويطيب في الدرين ثمره" ([٤٣]).

ويقول الإمام السيوطي : " ولا شك أن علم اللغة من الدين ، لأنه من فروض الكفايات ، وبه تعرف ألفاظ القرآن والسنة

ويقول سيدنا عمر (رضى الله عنه) :" لا يقرىء القرآن إلا عالم باللغة "

ويقول الفارابي :

" القرآن كلام الله وتنزيله ... ولا سبيل إلى علمه ، وإدراك معانيه إلَّا بالتبحر في علم هذه اللغة

وعلم اللغة هو : الطريقة العلمية المنظمة لدراسة اللغة في ضوء الواقع والاستخدام الفعلي للتراكيب اللغوية ، بهدف وصفها وتحليلها والكشف عن حقيقتها، وبيان وظائفها المختلفة ، مع مراعاة أن اللغة ظاهرة اجتماعية ، وعلى ذلك فهذا العلم يعد من العلوم الاجتماعية، وله مكانته المتميزة بين هذه العلوم نظرًا للتقدم الكبير الذي أحرزه في السنوات الأخيرة .

بمعنى أن علم اللغة الحديث لا يجري وراء تصحيح الكلام ، أو الكشف عن أخطائه ، وليس من وظيفته المباشرة وضع قواعد ، أو أحكام عامة ، للتمييز بين الجيد والرديء منه ، وإنما وظيفته دراسة اللغة ذاتها ، دراسة تشمل كل ظواهر الكلام الإنساني في القديم أو الحديث ، عند الأمم المتحضرة أو البدائية ، وتتحقق في أشكال لغات كثيرة ، ولهجات متعددة ، وصور مختلفة من صور الكلام الإنساني ، فعلم اللغة – إذا – لا

([٤٣]) انظر: فقه اللغة للثعالبي – ص ٢، القاهرة ، ط سنة ١٢٨٤هـ ، وفقه اللغة – د/ عبده الراجحي – ص ٣٥ط .

يقف عند حدود لغة معينة بل يتجاوز اللغات الحية إلى اللغات الميتة ، كما يهتم بدراسة كل أشكال التعبير اللغوي لوضع نظرية عامة في اللغة الإنسانية تكشف عن طبيعة اللغة .

وعلم اللغة يعد أحدث العلوم الإنسانية ، فقد ظهر في منتصف القرن ال١٨ ، وعلى الرغم من تناول قدماء الإغريق والهنود والعرب لموضوع اللغة إلا أن علم اللغة الحديث تناول اللغة بشمول أعم وبمنهجية جديدة حتى وصل إلى حقائق لم تدر في خلد القدماء ، وأن يكشف عن مباديء ونتائج أدق وأعمق من تلك التي عايشوها دهرًا طويلًا .

أما علم اللغة ، أو علم اللغة العام General linguistic ، فقد أدخل للجامعات العربية حديثًا ، ويعالج قضايا اللغة مجردة من الارتباط بأية لغات من لغات العالم ، حيث يبحث هذا العلم في اللغة ذاتها من أجل ذاتها كما يرى العالم السويسري (دوسوسير) (٤٤) .

كان لمحاضرات (دي سوسير) في علم اللغة العام ، والتي نشرت عام ١٩١٦م – أكبر الفضل في تطور الدراسات اللغوية مما يجعله يقف الموقف المؤسس الحقيقي لعلم اللغة الحديث .

" علم اللغة عند علماء اللغة وعلماء الاجتماع "

علم اللغة فقد عرفه العالم (زاده) (ت٩٦٨هـ) بأنه : " علم يبحث عن مدلولات جواهر المفردات وهيئاتها الجزئية ، وغايته الاحتراز عن الخطأ في فهم المعاني الوضعية والوقوف على ما يفهم من كلام العرب " .

وقد عرفه ابن خلدون بأنه : " بيان الموضوعات اللغوية "

وعرفه الفارابي بأنه : " علم الألفاظ الدالة عند كل أمة على قوانين تللك الألفاظ " (٤٥) .

وعرفه الدكتور / حلمي خليل بأنه :

" العلم الذي يدرس اللغة دراسة علمية ويهتم بدراسة اللغات من أجل ذاتها والحصول على معلومات عن طبيعة اللغة بشكل عام (٤٦) .

وقد عرفه د / محمود السعران بأنه : " العلم الذي يتخذ اللغة موضوعًا له "

وعرفه د / محمود فهمي حجازي بأنه : " دراسة اللغة على نحو علمي "

وعرفه العالم اللغوي (ماريو باي) بأنه :

" الدراسة العلمية للغة واللغات (٤٧) ويعنون بذلك استخدام المناهج العلمية في دراستها ، دراسة تتسم بالوضوح والدقة والنظامية والموضوعية والشمول واليقين

---

(٤٤) انظر : دراسات في علم اللغة – د/ كمال بشر ، وعلم اللغة – د / السعران .

(٤٥) انظر : مقدمة ابن خلدون ، وإحصاء العلوم – للفارابي – تحقيق د / عثمان أمين – ط ثانية ١٩٤٩م – القاهرة – ص ٤٥ : ٦٣ .

(٤٦) أي أن علم اللغة : علم معياري يبحث عن الصواب والخطأ في استعمال الألفاظ من حيث الدلالة والاشتقاق والتركيب ، وضبط اللغة ، ويبحث في نشأة اللغة وأصل اللغة وجمع وتدوين ورواية الألفاظ ، والبحث في دلالة واشتقاق الألفاظ ودراسة جوانب صوتية وصرفية ، وعمل المعاجم اللغوية ، وكل ذلك يهدف إلى ضبط اللغة ، أي : الاحتراز من الخطأ في استعمال كلام العرب أو الخروج عن سنن العربية في الكلام .

(٤٧) انظر : علم اللغة د / محمود السعران – ص ٥١ – وعلم اللغة – د / محمود حجازي – ص ٣١ ، وفي علم اللغة – د / سيد شرف ، وأسس علم اللغة – لماريو باي – ص ٢٩.

وعرفه بعض المحدثين بأنه العلم الذي يبحث في أي لغة إنسانية ، ويتخذها موضوعًا له ، ويدرسها من النواحي الوصفية والتاريخية والمقارنة ، وما بينها من علاقات ، كما يدرس العلاقة بين اللغات ووظائفها وأساليبها ونظمها الاجتماعية المختلفة [٤٨] .

❁ وهكذا نرى أن علم اللغة يستقي مادته من النظر في اللغات على اختلافها ، محاولًا الوصول إلى فهم الحقائق والخصائص التي تجمع اللغات الإنسانية كلها ، في إطار واحد .

والعالم اللغوي : هو الشخص الضليع في علم اللغة ، ويهتم بدراسة مفردات اللغة وجمعها ، وإخراج أو عمل المعاجم اللغوية ، واللغوي شأنه ينقل ما نطقت به العرب ، ولا يتعداه ، وهو الشخص الحاذق في استعمال اللغات، وهو الذي يبرع في لغات أخرى بجانب لغته الأصلية [٤٩]

وعلى اللغوي : أن يقتصر على ملاحظة الحقائق اللغوية ، ويكتفي بوصفها وصفًا موضوعيًا ، ولا يتجاوز ذلك بأن

يصدر أحكامًا بالصواب أو الخطأ ، كما أن عليه أن يدرك أن عمله ينحصر في : " وصف الحقائق لا أن يفرض القواعد " فلا يعنى نفسه بترقية اللغة أو السمو بها ، أو

تقويم ما فيها من خطأ ، ولا يشغل نفسه بأمور التربية أو تعليم اللغة .

❁ ثم إن العالم اللغوي ليس من يتقن عددًا من اللغات " متعدد اللسان " فقد يجيد لغات جمة ولا معرفة له بطبيعة اللغة ، فالمزارع مجيد للزراعات وأصناف النباتات لكن ذلك لا يجعله في زمرة علماء النبات ، وهكذا ، فالعالم اللغوي يتقن لغته الأصلية فقط ، لكنه يقدم دراسة لغوية قيمة لحضارة أو ثقافة أصيلة .

أما الطرق التي يستخدمها اللغوي في ملاحظة الظواهر المدروسة فكثيرة ، فمنها :

السماع ، أو التدوين الصوتي ، أو الأجهزة التي تسجل المادة أو تستخدم في تحليلها ، نحو :

راسم الندبات ، أو جهاز رسم الأطياف ، أو الكيمو جراف .

وقد يعتمد الباحث إلى الإحصاء ، أو استخدام الرموز ، والمعادلات ، وبعد الملاحظات تأتي مرحلة الفروض التي تفسر هذه الظواهر ، ثم تأتي مرحلة القوانين ، والقواعد كجزء من المنهج تصف سلوك عملي في تركيب اللغة .

" موضوع علم اللغة "

موضوع علم اللغة : هو دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها

واللغة تدرس في إطار علم اللغة في المجالات الآتية :

الأصوات

بناء الكلمة (الصرف)

بناء الجملة (النحو)

([٤٨]) انظر : المدخل إلى علم اللغة – د / رمضان عبد التواب – ص ٧.

([٤٩]) وقد ميز – عبد اللطيف البغدادي اللغوي من النحوي بقوله : " اعلم أن اللغوي شأنه أن ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعداه ، وأما النحوي فشأنه أن يتصرف فيما نقله اللغوي ، ويقيس عليه ، مثلهما كالمحدث الذي ينقل الحديث برمته ، والفقيه يتلقاه ويتصرف فيه ، ويبسط علله ، ويقيس عليه الأمثال والأشباه " .

المفردات ودلالتها (المعجم)
ودراسة هذه الخصائص اللغوية صوتيا وصرفيا ونحويا ودلاليا قد أطلق عليها منذ القرن ال ١٩ علم اللغة أو علم اللغة العام .

الفرق بين (فقه اللغة ، وعلم اللغة) "

أولًا : أن كلمة (فقه) تعني : إدراك الشيء والعلم به والفهم له [٥٠] .
قال الله تعالى : (فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ) [٥١] .
، والمراد : ليكونوا علماء به ، يفهموه ، ويقفوا على القوانين التي يسير عليها العلم ، وفي دعاء الرسول ﷺ : " اللهم علمه الدين ، وفقهه التأويل " ، والمراد فهمه .
وفي الصاحبي لابن فارس : أن فقه الشيء هو كل ما يتصل بفلسفته وفهمه ، والوقوف على ما يسير عليه من قوانين ، فقيل : الفقه : فهم الشيء، وقيل: كل علم لشيء فهو فقه[٥٢]
لذا فعلم اللغة عند القدماء العرب هو فقه اللغة .
ثانيًا : شاع مصطلحا (فقه اللغة – علم اللغة) في مجال الدراسات اللغوية ، وإن تغلبت التسمية الأولى في العصر الحديث على فروع هذه الدراسات ، كما كانت التسمية الثانية أكثر شيوعًا في مجال الدراسات العربية قديمًا ، ولم يفرق قدامى العربية في الاستعمال بين المصطلحين .
فعلم اللغة عندهم هو فقه اللغة ، لما ورد في كتبهم من قولهم : (كل علم لشيء فهو فقه) ،
ويفضل المحدثون استخدام مصطلح (علم اللغة) ، لأنه يركز على اللغة نفسها (منطوقة) كلام ، أو (مكتوبة) نصوص ، كما يركز على دراسة خصائصها .
ويرى – د / صبحي الصالح بأن المصطلحين كلاهما علم بالكلام ، أي معرفته وفهمه ، وفي مصطلح " فقه اللغة " فهم عميق ، وبحث دقيق ، وقد سمى به كثير من علماء العربية القدامى كتبهم ب " فقه اللغة كالثعالبي " مثلا ، ويرى د / صبحي الصالح أيضًا :
أن التفرقة بينهما تفرقة تافهة لا وزن لها ، هذا بالإضافة إلى أن مصطلح علم اللغة يقترب من مصطلح " فقه اللغة " عند الفرنجة [٥٣] .
❁ ورأى بعض العلماء أن الخلط ، والتعميم بين المصطلحين كما فعل د / صبحي الصالح في كتابه دراسات في فقه اللغة – فهو خلل يضر أكثر مما يفيد ، ومصطلح فقه اللغة لا يدل على ما يقصده المحدثون مما يسمونه الدراسة العلمية للغة رغم صلاحية للدلالة على ما قصده القدماء فالأحسن أن يقتصر على ما استخدمه له القدماء ، وأن نطلق مصطلح علم اللغة على المعنى الأوسع الذي يشيع لدى المحدثين وإن كان الدكتور / صبحي الصالح يحث على استخدام مصطلح (فقه اللغة) [٥٤] .

---

(٥٠) انظر : لسان العرب – لابن منظور – باب الهاء فصل الفاء مادة (ف ق هـ) ، والمصباح المنير للفيومي مادة (ف ق هـ) ومقاييس اللغة ، لأحمد بن فارس – ٤٤٢/٤ – تحقيق عبد السلام هارون – مطبعة الحلبي بالقاهرة – ١٣٩٠هـ
(٥١) سورة التوبة : ١٢٢.
(٥٢) انظر : الصاحبي – لابن فارس – ط بيروت .
(٥٣) انظر : دراسات في فقه اللغة – د / صبحي الصالح – ص ١٩ وما بعدها .

بينما يرى أستاذي الدكتور / كمال بشر : أن (فقه اللغة) حلقة من حلقات الدروس في علم اللغة وأنه يمكن الاكتفاء بالمصطلح العام (علم اللغة) ، ولا مانع من الاحتفاظ بمصطلح (فقه اللغة) لأنه يرتبط بتاريخ طويل ، وتقليد ممتد عبر القرون في الدرس اللغوي العربي والسامي بوجه عام .

ثالثاً : أشار بعض الباحثين المحدثين إلى ما يعنيه – ابن جني – المفكر اللغوي الإسلامي الكبير – حين فرق بين علوم اللغة وعلم اللغة أو فقه اللغة ، فعلوم اللغة هي العلوم الموازين الحاوية للقواعد ، والقوانين التي تبين الخطأ من الصواب ، أما علم اللغة ، وفقه اللغة فهما من المباحث التفسيرية الفلسفية الوصفية التي تنبني على درس العلاقة بين الفكر والتعبير ، ودرس التطور التاريخي للغة ، واستقراء الظاهرة اللغوية خلال النصوص ومقارنة الظواهر بعضها ببعض (٥٥) .

رابعًا : هذا ولم يفرق بين المصطلحين عدد كثير من المتخصصين المحدثين ، حيث فهموا أن علم اللغة : دراسة الصرف أو النحو أو الاشتقاق ، ومعرفة حواشي الكلام ، والفصيح وغير الفصيح على نحو ما ورد في مزهر السيوطي ، أو فقه اللغة للثعالبي ،أو على غرار ما عرضه (ابن جني) في خصائصه ، أو على أنه علم المعجمات .

هذا وقد خلط بعض المستشرقين الذين درسوا في كلية الآداب – جامعة القاهرة – بين (علم اللغة ، وفقه اللغة) معنيين به في الأغلب دراسة العلاقات التاريخية بين العربية ، وبين سائر اللغات السامية ، أو دراسة المفردات على أساس تاريخي ، وقد سار على ذلك النهج جيل من أساتذة معهد اللغات الشرقية بالجامعة .

ورأى البعض أنه يوجد تقارب بين المصطلحين ، فكلاهما يعني : فهم اللغة ومعرفة خصائصها و أسرارها ، وأن علماءنا القدامى لم يفرقوا بين المصطلحين ، لاتحادهما في المعنى، ومعناهما يدخل أساسًا في (علوم اللغة العربية)

ويختلفان عن مصطلحات العلوم العربية الأخرى من نحو وصرف وبلاغة وأدب ، كما أنه لا يستغنى أحدهما عن الآخر مطلقًا .

وعلم اللغة هو علم ينقل الألفاظ الدالة على المعاني المفردة ، وضبطها ، وتمييز الخاص منها بذلك اللسان الدخيل فيه ، وبيان الألفاظ المتباينة والمترادفة والمشتركة ، والمتشابهة .

---

(٥٤) وأعتقد : أن هذه الكلمة (فقه) قد انتقلت من بيئة الفقهاء إلى بيئة اللغويين مع ما انتقل من مصطلحات فقهية إلى ميدان الدراسات اللغوية غير أن كلمة (فقه) استعملت هنا بمعنى فهم الشيء فهمًا دقيقًا ، أو التعمق في دراسة اللغة العربية ومعرفة خصائصها وأسرارها بشكل عام ، لأننا لا نكاد نجد موضوعات محددة أو منهجًا واضحًا يدرس به القدماء ما أطلقوا عليه فقه اللغة . انظر : فقه اللغة د / صبحي الصالح .

وفقه اللغة عند سائر المعاجم هو علم اللغة ، ولا فرق بينهما لغويا ، كما يرى د / صبحي الصالح أ،هـ من العسير تحديد الفروق الدقيقة بين العلمين لتداخل مباحثهما لدى طائفة من العلماء في الشرق والغرب ، قديمًا وحديثًا ، والتفرقة بينهما تافهة ولا وزن لها . انظر : فقه اللغة – د/ صبحي الصالح .

(٥٥) انظر : اللسان والإنسان – د/ حسن ظاظا – ص ٤٣ بتصرف .

كما جعلوا علم اللغة مرادفًا للمصطلح القديم (متن اللغة) ناظرين لاستعماله التقليدي بمصطلح علم اللغة الوارد ذكره بهذا المعنى بكثرة في كتب اللغة العربية ككتاب الصاحبي لابن فارس ، والمزهر للسيوطي ، وبعض المؤلفات الحديثة .

ويقول الشيخ / حمزة فتح الله " اعلم أنه يقال لعلم اللغة (علم متن اللغة) " [٥٦] ويطلق على دراسة دلالات المفردات اللغوية ، وهو ما يعرف بالمعجمات العربية .

وأغزر الكتب في متن اللغة ، وبيان اشتقاقها ، ومجازاتها ، والمعرب منها " المخصص لابن سيدة (ت ٤٥٨هـ)

وبعد هذه الإشارة إلى مفهوم (فقه اللغة – وعلم اللغة)

فإن بعض العلماء يرى أنَّ هناك فوارق تميز أحدهما عن الآخر ذكروا منها ما يلي : –

١–علم اللغة هو دراسة اللغة دراسة علمية من حيث أصواتها أو مفرداتها أو تراكيبها ودلالتها ، وفقًا لمنهج اللغة الوصفي أو التاريخي أو المقارن ، كما يدرس قضايا اللغة الإنسانية العامة ، أما فقه اللغة فهو العلم الذي يحاول الكشف عن أسرار اللغة وقوانينها، ومعرفة سر تطورها ودراسة ظواهرها المختلفة تاريخيًا من جانب ، ووصفيًا من جانب آخر .

وهو بهذا المدلول يشكل كل قضايا اللغة التي تبحث في نشأة اللغة الإنسانية الأولى ، واحتكاك اللغات ببعضها ، والبحوث الخاصة بالأصوات والألفاظ ودلالتها ، ودراسة العلاقة النحوية بين مفرداتها ، كما يهتم بدراسة خصائص اللغة (لغة معينة) من أجل تصحيح أخطائها ، وتقويم المعوج منها ، فيهتم ببيان الأساليب الفصيحة والجيدة والرديئة المستعملة والمهملة .

٢–علم اللغة يدرس اللغات المنطوقة أو المسموعة أو الحية وفقًا للدراسات الوصفية ، أما فقه اللغة فيميل بدراساته إلى اللغات المكتوبة أو القديمة أو الميتة أو الفصيحة ونصوصها وفقًا للدراسات التاريخية .

٣–يدرس منهج فقه اللغة اللغة على أنها وسيلة لدراسة الحضارة أو الأدب ، ويدرس منهج علم اللغة اللغة بذاتها ، أي وسيلة وغاية في ذاتها .

٤–ميدان (فقه اللغة) أوسع وأشمل فيتناول دراسة الأدب والحضارة والحياة العقلية ، وتقسيم اللغات ومقارنة اللغات ، وشرح النصوص القديمة وتحليلها ، بينما يركز (علم اللغة) على التحليل لتراكيب اللغة ووصفها .

٥–أن مصطلح (فقه اللغة) أسبق زمانيًا من مصطلح (علم اللغة).

٦–يعني (فقه اللغة) بما حول اللغة أو ما يتصل بالشكل اللغوي ، بينما يعني (علم اللغة) بالشكل فقط ، أي هو تركيبي أو شكلي ، بينما (فقه اللغة) مقارن .

([٥٦]) أطلق علماؤنا القدامى (علم اللغة – وفقه اللغة) على (متن اللغة) ويتناول هذا العلم جمع ألفاظ اللغة وشرحها ، ودراسة دلالات المفردات اللغوية ، ودراسة بعض قضايا اللغة العربية ك : التعريب ودلالة الألفاظ كالمشترك اللفظي والتضاد والمترادف والفصيح وغيره كما ورد في كتاب (فقه اللغة) للثعالبي .

انظر : دراسات في علم اللغة – د / كمال بشر – القسم الثاني – ص ٤٠، ٤١ ، والمواهب الفتحية – للشيخ حمزة فتح الله ٢٠/١، ٢١، وعلم اللغة – د / محمود السعران – ص ١٢.

٧-لم يوصف (فقه اللغة) بأنه علم ، بينما وصف (علم اللغة) منذ نشأته بكون علمًا .
٨-عمل فقهاء اللغة عمل تاريخي مقارن في أغلبه ، بينما عمل علماء اللغة فوصفي تقريري .
٩-(علم اللغة) لم ينتشر إلا في أواخر القرن ال١٩ بينما (فقه اللغة) علم تاريخي غايته معرفة الحضارات الماضية بوساطة الوثائق المكتوبة التي تركتها ، والتي تساعدنا على فهم تلك الحضارات وتفسيرها ، بينما عرف العرب (فقه اللغة) في أواخر القرن الرابع الهجري حين ألف أحمد بن فارس والثعالبي كتابيهما (الصاحبي ، فقه اللغة) ولم يفرقا بين مفهوميهما في الاستعمال .
١٠- ويرى (ماريو باي) أن موضوعات " فقه اللغة " (فيولوجي) هي دراسة اللغة والثقافة والأدب ، أما علم اللغة فيدرس اللغة نفسها مع إشارة عابرة للثقافة أو التاريخ ، وكلاهما لا ينفصل عن الآخر ، ولا يستغنى أحدهما عن الآخر [٥٧] .
١١- بينما يرى (لومل) أن علم اللغة يساعد في دراسة (الفيولوجي) ، وبالتالي فهو علم قائم بذاته ، والعلاقة وثيقة بين العلمين إلى درجة أن الاستعمال الشائع للكلمتين لا يكاد يفرق بينهما .
١٢- يدرس علم اللغة اللغة على أربعة مستويات : -
أ-الصوتي : لدراسة الأصوات ، وصفاتها ، ومخارجها .
ب-الصرفي : (مور فولوجي) ، ويدرس الصيغ اللغوية والوحدات الصرفية ، ويدرس بنية الكلمة وأصولها وصيغها واشتقاقها ، وتصريفها ، لأن معرفة أصل الكلمة يوقفنا على تطور ودلالة الأصوات ، وإلى كشف قوانين هذا التطور .
ج- النحوي : (السينتاكس) ، ويدرس الجملة : عناصرها ، وتراكيبها .
د- الدلالة : (السيمانتيك) ، ويدرس المعاني ومشكلاتها ، كما يدرس معاني الجمل والعبارات والمفردات
١٣- وينقسم علم اللغة حسب المنهج إلى تاريخي ، ووصفي ، وعام ، ووظيفي ، وبنائي ، وتطبيقي ، ومقارن ، فيقوم (علم اللغة) الوصفي بدراسة لغة معينة في فترة معينة ، ويقوم التاريخي بدراسة لغة معينة من حيث تطورها وتغيراتها خلال التاريخ ، وهو منهج حركي ، ثم تكمل بالمنهج المقارن .
١٤-لم يعتن علماء العربية كعلماء (فقه اللغة) بإعادة تشكيل اللغات القديمة الأصلية .
١٥- درس علماء العربية لغتهم باعتبارها لغة حية منطوقة ، بينما درس العلماء المحدثون فقه اللغات .
١٦- لم يهتم لغويو العرب كعلماء (فقه اللغة) بدراسة التطور الدلالي ولا بدراسة اللهجات ، بل قصروا درسهم على اللغة الفصحى المشتركة التي نزل بها القرآن الكريم .
١٧- التسمية ب (فقه اللغة) أكثر شيوعًا في مجال الدراسات العربية القديمة ، مقابلة للكلمة الأوروبية philology ،وأصل الكلمة مركب من philos ومن معانيها الحب أو الصداقة ، ومن logos بمعنى الكلام ، والمعنى الكلي هو : حب الكلام أو اللغة الذي يدفع إلى فقهها أو علمها ، فالكلمة إغريقية الأصل تعني معرفة الأدب الجميل ودراسة نصوصه ، ودراسة لغة معينة بالتحليل النقدي لنصوصها [٥٨] .
١٨- (فقه اللغة) ، و(علم اللغة) ميدانان من البحث متميزان أحدهما عن الآخر ، وإن تداخلا أحيانا

([٥٧]) انظر : أسس علم اللغة – لماريو باي – تحقيق د / أحمد مختار عمر ص ٣٥.
([٥٨]) انظر : في علم اللغة العام – د / عبد الصبور شاهين – ص ٥، ٦ مكتبة الشباب – ط ٣.

واستعان كل منهما بالآخر دائما [٥٩] .

١٩- يغلب مصطلح (علم اللغة) حديثًا على فروع الدراسات اللغوية في أية لغة من اللغات الإنسانية كلها ، أما مصطلح (فقه اللغة) فيكثر استعماله ويشيع ذكره في كتب العربية قديمها وحديثها على فروع الدراسات اللغوية في اللغة العربية وحدها .

([٥٩]) انظر : اللسان والإنسان – د / حسن ظاظا – ص١٤.

الفصل الثالث

علم اللغة

(بحوثه – فروعه –مناهجه ومستوياته)

تعرضناُ فيما مضى لتعريف اللغة ، طبيعتها ووظيفتها وأهميتها ، والآن نعرض لبيان علم اللغة : مفهومه وموضوعه ومناهج البحث فيه ، ومجالات فروعه ، وعلاقته بالعلوم الأخرى ، وغيرها من الموضوعات المتعلقة به .

وقد اختلفت وجهات النظر حول ماهية علم اللغة باختلاف مناهج الباحثين فيه ، وتعدد جوانبه ، فهو العلم الذي يدرس موضوعات اللغة دراسة علمية ، ويدرسها من النواحي : الوصفية ، والتاريخية ، والمقارنة ، كما يدرس العلاقة بين اللغات أو مجموعة منها ، كما يدرس وظائف اللغة ، وعلاقتها بالنظم الاجتماعية المختلفة ، أي أنه يدرس البنية الصوتية والصرفية والنحوية للغة ، كما يدرس مفرداتها ودلالة التراكيب ، وما يصيبها من تغيير وما تتعرض له من انقسام إلى لهجات خلال رحلتها الطويلة ، ويعمل على تحديد بيئة اللغة وعلاقتها بالبيئات اللغوية المجاورة ، ويرصد ظواهر اللغة المختلفة ، كظاهرة التأثير والتأثر ، وعوامل غناها وفقرها ، وسعتها وضيقها ، وعظمتها وضعفها ، ونموها وانقراضها ، كما يدرس اللغة دراسة علمية مستخدمًا في دراستها المناهج العلمية ، مقدمًا لنا نظريات تفسر اللغة باعتبارها ظاهرة إنسانية عامة تستخدمها كل المجتمعات لأداء وظائف محددة ، وبناء هذه اللغات يتألف من أصوات تنتظم في كلمات ، والكلمات تتألف منها الجمل ، والناس يستخدمون هذه الجمل والأصوات في التعبير عن أفكارها وتوصيلها إلى غيرهم ، كذلك في قضاء حاجاتهم ومصالحهم

❁ وعلم اللغة العام يقوم برسم الأسس المنهجية للتحليل اللغوي من جوانبه المختلفة : الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية .

واللغة تدرس في إطار علم اللغة في المجالات الآتية :

الأصوات

بناء الكلمة (الصرف)

بناء الجملة (النحو)

المفرد ودلالتها (المعجم) .

❁ ويهدف من وراء هذه الدراسات إلى فهم كامل ، ووعي شامل بهذه الظاهرة المعروفة باللغة

وقد تابع الخليل على ذلك تلميذه (سيبويه) (ت١٨٠ هـ) في الكتاب تلك القضايا مع الدقة في التحليل والتفصيل ، كما درس الأصمعي (ت ٢١٦ هـ) الاشتقاق في العربية ، والجوهري (ت ٣٩٣ هـ) في كتابه : تاج اللغة وصحاح العربية .

ثم بدأت بشائر (فقه اللغة)تظهر عندما ذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) بعض المسائل ، كدراسته أصوات اللغة من حيث مخارجها وصفاتها ، وشرحه لمعاني الألفاظ والمفردات التي جمعها في كتابه (العين) ، والذي اهتم أيضًا بدراسة قضايا اللغة وظاهرها ، كالإبدال والإدغام ، والقلب ، وكلها ظواهر لغوية تقوم على امتزاج الأصوات ، وطرق ائتلافها ، نظرًا لما بينها من تقارب أو تباعد .

فكان الكتاب معجمًا نبراسًا ، وهديًا لعلماء اللغة والنحو والصرف والعروض ، والعلوم اللسانية بصفة عامة كما ذكر محقق كتاب العين بالمقدمة .

❁ بدأ العلماء العرب يدونون علوم اللغة أوائل العصر العباسي ، وضمت التآليف البحوث المتعلقة باللغة من نحو وصرف، وبلاغة، وأدب ولغة، وكانوا يقبحون التخصص آنذاك [٦٠] . يضاف إلى ما سبق : اهتمام العلماء بالعربية فأرادوا أن يثبتوا براعة ورقي العربية على غيرها من اللغات ، وأنها صالحة للحياة والحضارة ، فألفوا مؤلفاتهم العربية ترغيبًا فيها ، وكشفًا عن أسرارها في بنيتها وأسلوبها ، وقواعدها ، وخصائصها وسر صناعة إعرابها لابن جني اللغوي العبقري ذي الأصل الرومي ، الذي بهره سحر العربية وجمالها فقال : " لو أحست العجم بلطف صناعة العرب في هذه اللغة ، وما فيها من الغموض والرقة والدقة لاعتذرت من اعتراف بلغتها ، فضلًا عن التقديم لها ، والتنويه منها.

ويشرح ابن جني منهجه في خصائصه قائلًا : " إنه ليس مبنيًا على حديث وجوه الإعراب ، وإنما هو مقام القول على أوائل أصول هذا الكلام ، وكيف بدىء،

إلام نحى [٦١] كما أشار (ابن فارس) إلى أنه يوجد فرع وأصل لعلم العرب ، أما الفرع فمعرفة الأسماء والصفات ، كقولنا رجل وفرس ، وطويل وقصير ، والأصل الوقوف على موضوع اللغة وطرائق العرب في مخاطبتها وافتنانها [٦٢] .

ويتضح لي من دراستي لكتب علم اللغة أن للعلماء العرب طرائق خاصة في البحث ، مستمدة من ثقافاتهم ، والظروف الداعية والباعثة لهم على الدرس ، وهي طرق واضحة في أبحاثهم العلمية عن العربية ومبادئها وسلوكها التعبيري معتمدين في ذلك كله على الذوق والعقل ودقة الملاحظة راسمين حدودهم في إطار الدراسات القرآنية ، مما جعلهم يتميزون بشخصيتهم المستقلة ، وبحوثهم اللغوية الخادمة للدين ، ولم يكن لديهم الآلات أو المعامل التي يجرون فيها تجاربهم اللغوية كما هو متوافر عند علماء الغرب ذوي البحوث المتسعة والراقية ، وتقدم علومهم وفنونهم [٦٣] .

❁❁ مما سبق نلحظ أن السبب القوي لنشأة الدراسات اللغوية عند العرب هو الحفاظ على كتاب الله ومبادىء الإسلام ، نتيجة الاختلاط بين العرب وغيرهم من العجم ، فقام – لغويو العرب – بجمع اللغة من العرب الخلص ، دون دراسة لغوية ، فالمهم عندهم هو جمع وضبط الألفاظ وتدوينها في موضوعات خاصة كما ورد ذلك في : رسائل الأصمعي (ت٢١٦هـ) ،

وأبي حنيفة الدينوري (٢٨٩هـ) ،

وألفاظ ابن السكيت (ت٢٤٤هـ) ،

والألفاظ الكتابية للهمذاني (ت ٣٢٧هـ) .

([٦٠]) انظر : ضحى الإسلام – الأستاذ / أحمد أمين ٢٩٨/١ ، وفقه اللغة – د / ناجح عبد الحافظ مبروك .

([٦١]) انظر : الخصائص – لابن جني ٢٤٢/١.

([٦٢]) انظر : الصاحبي – لابن فارس – ص ٢٩ – ط بيروت ، وعلم اللغة – د / عبد الغفار حامد هلال – ص ٢٠: ٣٠– ط ثانية ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م.

([٦٣]) وأيا ما كان الأمر فإن بحوث العرب هي الأساس الأول الذي بنى عليه الغربيون أبحاثهم في مجال الدراسات اللغوية المختلفة ، ففيها الأصل العربي .

❁ وبعد أن توافرت المادة اللغوية من الألفاظ بدأت المدارس اللغوية في دراستها وشرحها وتفسيرها ، كما فعل المبرد (ت٢٨٦هـ) ، والأصمعي ، وأبو علي القالي (٣٥٦هـ) فقد اشتملت كتبهم على الكثير من هذا الذي يشتمل على بيان المفردات اللغوية وما يتبعها من قصص تاريخية وأخبار عربية ، ومباحث أدبية إذا كان الهم الأكبر في هذه الفترة حتى نهاية القرن الثالث هو إحدى طرق أربع :

الإملاء والإفتاء والتعليم والرواية ، واتجاه البحث إلى المفردات وما يتصل بها من أخبار ، ولم يكن ينظر إلى الجمل أو التراكيب .

هذا وقد اتسعت الثقافات وكثرت العلوم بمجيء القرن الرابع الهجري ، نتيجة امتزاج الثقافة العربية بالأجنبية من فلسفة وطب ونجوم ورياضيات وفلك ، وزاد من دراسة اللغة تقرب العلماء إلى الملوك والرؤساء واهتمامهم بالدراسة اللغوية ، فبرز لون جديد من البحث اللغوي هو القلب ، ووضع الأزهري (ت ٣٧٠ هـ) كتابه تهذيب اللغة ، وابن دريد (٣٢١هـ) كتابه جمهرة اللغة ، والجوهري في معجمه تاج اللغة ، كما ناقش هؤلاء العلماء مادة اللغة ومشكلاتها النحوية والمعجمية .

❁ وفي القرن الخامس ظهر كتاب الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) : فقه اللغة الحاوي للكثير من معاني الألفاظ العربية ، والمعربة عن الفارسية والرومية ، كما ظهر المخصص لابن سيدة (ت ٤٥٨هـ) في أبحاث فقه اللغة كالمشترك اللفظي والتضاد، والترادف والمجاز والمعرب والإبدال ، والتذكير والتأنيث ، وكان من الأفضل أن يسمى هذا الكتاب ومثله ب (فقه اللغة) .وظهر في القرن السادس كتاب (المعرب من الكلام الأعجمي) للجواليقي ، وأساس البلاغة للزمخشري (ت ٥٣٨هـ) .

❁ وفي القرن السابع ظهر (لسان العرب) لابن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ) ويعد عمدة الباحثين في متن ومواد اللغة العربية ، ثم البشبيشي (ت ٨٢٠هـ) .

❁ وجاء القرن العاشر بكتاب (المزهر في علوم اللغة) للسيوطي (ت ٩١١ هـ) مليئًا ببحوثه اللغوية من دلالة الألفاظ والأصيل والدخيل ، والصحيح والمعلول ، والتداخل والتوافق في اللغات ، والقلب والإبدال والنحت ، والتصحيف والتحريف .

❁ وفي القرن الحادي عشر ظهر كتاب (شفاء الغليل فيما ورد في كلام العرب من الدخيل) لشهاب الدين الخفاجي ، وبين فيه الدخيل والأصيل من الكلمات المعربة ، وشروط وإمارات التعريب ، وهو من أهم الكتب التي تميز بين العربي والأجنبي من الألفاظ .

وأرى : أن معظم هذه المؤلفات نقل عن السابقين وجمع لآرائهم ، وكلها دراسة للألفاظ والمعاني واستعمالاتها في اللغة العربية، وكلها مفيدة، تلبى حاجات العصور المتتابعة .

وجاء القرن الثالث عشر بكتاب " سر الليالي في القلب والإبدال " لأحمد بن فارس الشدياق ، واستمرت البحوث اللغوية عند العرب وهي لا تزال تجد كل يوم من أجل النهوض والارتقاء بلسان الأمة (لغتها) التي تمثل عقيدة الأمة ، وتقاليدها ، وشئونها العلمية والاجتماعية والسياسية ، وقد صدق قول الحكيم في أمة العرب :

(كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ

ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ) [٦٤] ، فقد برز سعى علماء العربية في دراساتهم المتنوعة.

وكانت أهم البحوث اللغوية عند العرب ، هي : -

١- **جمع الألفاظ** : من الأعراب الفصحاء في البادية البعيدة عن الاختلاط بالعجمة ، كما فعل الخليل والأصمعي ويونس ابن حبيب الضبي (ت ١٨٢هـ) وآخرون . و منها ألفاظ خاصة ببعض الموضوعات كأسماء الوحوش ، والغابات

٢- والشجر والإبل والخيل والسلاح والنبات والمطر واللبن والجرائم والغرائز ، وغيرها .

٣- ألفاظ موضوعة لمختلف المعاني كالألفاظ التي تدل على مراحل خلق الإنسان .

٤- الألفاظ المجموعة على نظام معجمي دقيق وشرحها شرحًا وافيًا ، وعرفت فيما بعد (بالمعاجم) ، كما في " العين " للخليل ، و" تهذيب اللغة " للأزهري ، والقالي في بارعه والمحكم "لابن سيدة ، " والجمهرة " لابن دريد " والصحاح " للجوهري ، والقاموس " للفيروز ابادي ، ولسان العرب " لابن منظور " والمقاييس " لابن فارس ، " والأساس " للزمخشري ، وغيرهم من أرباب المعاجم الحديثة ، متبعين طريقة التقليبات الصوتية ، أو طريقة القافية ، أو الأبجدية العادية .

٥- **وضع القواعد** : وقاية اللسان من العثرات ، وحفاظًا على طبيعة السليقة العربية من اللحن ، فوضعوا " علم النحو " خاصًا بالكلمات والجمل والتراكيب ، ووضعوا " علم الصرف " مختصًا ببنية مفردات اللغة .

وقامت المدارس اللغوية المتعددة بمناهجها الفكرية المختلفة في بعضها والمتفقة في بعضها الآخر ، طبقًا لظروف بيئاتهم ، ونباهة عقولهم ، وكلها لا تدخل في نطاق " علم اللغة " بقدر ما تقوم بإصلاح الأخطاء ، وتقويم اللسان .

ومن أهم علماء القواعد الخليل البصري ، وأبو جعفر الرؤاسي الكوفي (ت ١٦٧هـ) ، وسيبويه ، وابن جني ، ومن المتأخرين : الزمخشري في " المفصل " ، وابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) في " الكافية ، والشافية " ، وابن مالك (ت٦٧٢هـ) في " التسهيل " ، والألفية ، وابن هشام (ت ٧٦١هـ) في قطر الندى ، وشذور الذهب ، وأوضح المسالك ، ومغنى اللبيب .

٦- **الاهتمام بالقراءات القرآنية** :

ابتدأ من القرن الثاني الهجري ، وذلك لمعرفة أصواته ، وظهر عدد من القراء في الأمصار الإسلامية ، ومنهم : ابن مجاهد ، وابن السراج ، البزاز ، وأبو منصور الأزهري ، وابن خالويه ، وأبو علي الفارسي ، وابن جني ، وابن سعيد الداني ، وأبو القاسم الشاطبي ، وابن الجزري .

وهذه الدراسات حفظت للعربية أصواتها عبر هذه القرون ، ومن خلالها درست اللهجات العربية ، والصراع اللغوي ، واختلاف النطق ، وتطور اللغات وكلها من أهم فروع علم اللغة .

٧- **الدراسات البلاغية** :

([٦٤]) سورة آل عمران : ١١٠.

وتتمثل في فصاحة الألفاظ ، والأساليب ومناسبتها لمقتضى الحال ، ودراسة الإيجاز والإطناب ،والحقيقة والمجاز ، والعلوم البلاغية (المعاني – البيان – البديع) .

ويعد أبو عبيدة (ت ٢٠٩هـ) صاحب كتاب " مجاز القرآن " ، والجاحظ في " إعجاز القرآن " ، وابن المعتز في " البديع " ، وأبو هلال العسكري في " الصناعتين " ، وعبد القاهر الجرجاني في " دلائل الإعجاز ، وأسرار البلاغة " ، والسكاكي في " مفتاح العلوم " والخطيب القزويني في " تلخيص المفتاح "

ويعد كل هؤلاء من أئمة علم الدراسات البلاغية التي عرفت بعلم الأسلوب التعليمي عند الغربيين .

٨- **الدراسات الأدبية والنقدية** :

وهي تمثل أهم ثروات العرب اللفظية ، لأنها تعبر عن فكرهم وحالتهم الاجتماعية ، وتاريخهم عبر العصور ، إذن لابد أن تنهض ، لما لها من أهمية لدى العرب فظهر علم الأدب : شعره ونثره ، حاكيًا ألفاظهم ، وأساليبهم وعادتهم وتقاليدهم ، وأخبارهم وحوادثهم الاجتماعية وأحوالهم ، ومستواهم الفكري والحضاري .

وظهر علم " تاريخ الأدب " يتناول دراسة أهل الأدب من شعراء وكتاب وخطباء ، موازنًا بينهم أدبيًا وفنيًا على مر العصور ، مما أثرى الحركة الأدبية بمؤلفات عدة ، تكفل للغة العربية النمو ، وسرعة الحركة والتجدد ، والقوة وعمق التأثر والتأثير .

والحقيقة أنها محاولات كثيرة ، وخطوات مشكورة – تمهد الطريق للباحثين ، وتؤدي إلى الاستمرار في بذل الجهد بعد أن أصبح الطريق واضحًا ، والوسائل الحديثة ، والمعرفة واجبة ، والعلماء ماضون – بعون الله تعالى – لما يرجوه من قوة للأمة العربية ولغتها العربية .

ومع ذلك فمما يؤسف له أن كثيرًا من المؤرخين لعلم اللغة ، لا يذكرون فضل العرب ، وما أسدوه من جهود في هذه السبيل ، على الرغم من باعهم الطويل في الدرس اللغوي قديمًا وحديثًا – ومع كل ذلك الجحود والإنكار أو التجاهل الذميم للدور العربي في هذا الشأن ، إلا أننا لا نعدم أن نجد بعض المنصفين الذين يعترفون بالسبق والأستاذية ، ويقرون بالفضل للعرب في فكرهم وحضارتهم .

فقد قام العرب بوصف أصوات اللغة وجهاز النطق وطبيعة الأصوات وصفًا دقيقًا جديرًا بالثناء والإكبار ، كما وضعوا قواعد دقيقة لهذه اللغة على مستوى الكلمة وعلى مستوى التركيب ، وتناولوا قضايا اللغة الهامة كقضية نشأة اللغة ، وقضايا خاصة كالدلالة ، وإن كانت مبعثرة حتى خصص لها علم مستقل هو علم الدلالة semantics،كما تناولوا قضايا الترادف والمشترك اللفظي ، والتضاد ، وكذلك دور العرب في مجال المعجم .

اهتم علماء اللغة العربية بدراسة لغتهم العربية حين اختلط العرب بالأعاجم ، وشاع الفساد على الألسنة ، فوضع العلماء القواعد والقوانين ، وقاية اللسان من العسرة ، والوقوع في الخطأ بعد أن استشرى فساد تحريف أصوات بعض الكلمات ، وتغيير معاني بعضها الآخر ، وإماتة كلمات وتراكيب عربية ، وحلول أخرى أعجمية محلها . حيث قام علماء العربية بدراسة اللغة :

نصوصها ، ومتونها ، وقواعدها النحوية والصرفية والصوتية ، والبلاغة والعلوم العربية التي تخدم

النص القرآني الكريم [٦٥] ، معتمدين في ذلك على الذوق ، والعقل ، ودقة الملاحظة [٦٦]
فكانت للإمام أبي الأسود الدؤلي جهوده في وضع قواعد النحو العربي بعد تفشي ظاهرة اللحن ، وكذلك جهود النحاة من علماء العربية ، وعلماء القراءات من أمثال :
عبد الرحمن بن هرمز ، ويونس بن حبيب ، وعنبثة الفيل ، وميمون الأقرن ، ونصر بن عاصم ، وعيسى بن عمر ، وأبو عمرو بن العلاء ، وعبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي ، والخليل بن أحمد الفراهيدي ، وسيبويه ، والعالم اللغوي
ابن جني[٦٧] وغيرهم كثير وكان كل من هؤلاء العلماء لغويًا وراوية ، ونحويًا ، وأدبيًا ، وقارئًا ، وصوتيًا ، ورياضيًا ، وموسيقيًا ، وشاعرًا ، وناقدًا ، ومحللًا دقيقًا ، وفلكيًا ، وطبيبًا ، وفيلسوفًا .
وما كان اهتمامهم بدراسة اللغة العربية إلَّا للمحافظة على الدين الإسلامي وكتابه المقدس ولإثبات براعة العربية وصلاحيتها للحياة والحضارة ، ولإحساس العجم بلطف صناعة العرب في هذه اللغة ، كما أن الدراسات اللغوية مفيدة في نواحي الحياة ، وشتى شئون المجتمع الإسلامي [٦٨] .
وقد اعترف المستشرق الألماني (أ . شاده) بجهود العلماء العرب في الحضارات الإنسانية بما قدموا لدراسة اللغة من اسهامات لم يسبقوا إليها في ميادين النحو والصرف ، والأصوات والمعاجم .
ولا ينكر أحد خضوع منهج اللغة الحديث للغة المناهج الأوربية ، وأنه اتبع طريقتها في البحث ، ولا ينكر أحد أيضًا اتباع الأوربيين لمناهج المسلمين إبَّان عصر النهضة ، حتى وقفوا على أقدامهم ، ولكل منهم وجهة نظر في مختلف العلوم ، فكانت الحضارة الأوربية نتاج الامتزاج بين عطاء العقل الإسلامي والعقل الأوربي .

---

(٦٥) كما فعل الإمام / عبدالله بن مسعود في تصديه لتفسير القرآن ، وأسئلة الصحابة ، وكذلك ما أطلق عليه (سؤلات نافع بن الأزرق) التي أوردها السيوطي في إتقانه .انظر : الإتقان للسيوطي (ت ٩١١هـ) ط ثانية ١٩٣٥ – ص ١٢٠ وما بعدها .

(٦٦) وهذا يعكس لنا ما كان لدى الغرب من آلات ومعامل حديثة ، ومجهزة مكنتهم من إجراء البحوث التجريبية التي توصل إلى حقائق معينة ، كما أدت إلى تقدم العلوم والفنون ، ولكن الفضل لمن بدأ الطريق الشاق وهم العرب ، فرغم قصور إمكاناتهم ، فقد كانت بحوثهم الأساس الذي بنى عليه الغربيون مباحثهم في الدراسات اللغوية.

(٦٧) صاحب كتابي : (الخصائص ، و سر صناعة الاعراب) ، وقد بلغ الدرس اللغوي القمة بهذين العملين الكبيرين ، بالإضافة لمعجم " العين " للخليل ، " ولسان العرب " لابن منظور ، كما يعتبر – د / إبراهيم أنيس رائدًا للدراسات اللغوية الحديثة ، فهو يمزج بين المنهج الحديث والتراث القديم ، ثم تلاميذه : د / تمام حسان ، وعبد الرحمن أيوب ، وكمال بشر ، وحسن عون ، والبدراوي زهران (مصر) ، ود / محمد المبارك (سوريا) ، ود / صبحي الصالح (لبنان) ود / إبراهيم السامرائي (العراق) انظر : في علم اللغة العام ص ١٢ ، ١٣.

(٦٨) يقول الأستاذ عباس العقاد : " للأمم في تنافسها بالمناقب والمزايا ألوان من المفاخرة بلغاتها كثيرة ، ومعظمها دعوى لا دليل عليها ، أنانية قومية تشبه أنانية الفرد في حبه لنفسه ، وإثاره لصفاته بغير حاجة إلى دليل ، ولكن الفصاحة العربية في دعوة أهلها مفخرة لا تشبه هذه المفاخرة في جملتها لقوة دليلها العلمي الثابت في النطق بها ، وحسن الاستماع إليها "
انظر : اللغة الشاعرة – الأستاذ محمود عباس العقاد – ص ٥٤ ، ٥٥ بتصرف .

أما دراسة اللغة في الغرب فقد مرت بمراحل ثلاثة متوالية ، منها :

١- مرحلة علم النحو :

وهي مرحلة تميز الصحيح وغير الصحيح من القواعد ، وإن كانت مرحلة ضيقة الأفق .

٢- مرحلة علم الفيولوجيا (فقه اللغة) :

وقد اهتمت هذه المرحلة بتوثيق النصوص ونشرها ، والتعليق عليها ، كما اهتمت بدراسة التاريخ والأدب والأخلاق ، والأنظمة .

٣- مرحلة مقارنة اللغات فيما بينها ، وتسمى (مرحلة علم النحو المقارن) .

وفيها ظهر كتاب (تصريف السنسكريتية) ل (بوب) الذي أدرك أن العلاقات بين اللغات المتقاربة يمكن أن تكون مادة علم قائم بذاته ، ودرس المقارنة بين اللغات .

كما يعتبر كل من : ماكس مولر ، ووج كيريتوس ، وأوجست شليشر ، والروماني دييز ، برجمان ، واستوف ، وبراون ، وسيفرس ، أصحاب الفضل في وضع نتائج المقارنة في وضعها التاريخي وربط الأحداث اللغوية في نظامها الطبيعي ، وارتباطها بالتطور الاجتماعي .

البحوث اللغوية وما يدخل منها تحت علم اللغة : -

أولًا : البحوث المتعلقة بنشأة اللغة الإنسانية ، من مرحلة التعبير الأولى حتى مرحلة الأصوات ، وكيفية وضع الإنسان للكلمات ، وتعيين مدلولاتها ، ونشأة اللغة في النوع الإنساني ، وقد أطلق على هذا النوع من البحوث اسم : أصل اللغة أو نشأة اللغة .

ويرى البعض : إخراج هذا النوع من نطاق علم اللغة ، لعدم اتفاق منهج البحث فيه مع مناهج البحث في العلوم، ويرون وجوب إلحاقه بالبحوث الفلسفية الميتافيزيقية .

ثانياً : البحوث المتعلقة بحياة اللغة ولهجاتها ، وما فيها من غنى وفقر وسعة وضيق ، وعظمة وضعة ، ثم تحول اللغة إلى لهجات ، وتحول اللهجات مع مرور الزمن إلى لغات مستقلة ، متعددة المظاهر ، متنوعة الاستخدام ، ويطلق على هذا اسم " حياة اللغة " .

ومن أهم فروع هذا البحث وأوسعها نطاقًا فرع يسمى " الدياليكتولوجي " ، أي علم اللهجات : ويقوم بدراسة الظواهر المتعلقة بانقسام اللغة إلى لهجات ، تختلف باختلاف البلاد أو باختلاف الجماعات الناطقة بها .

ثالثًا : دراسة الأصوات التي تتألف منها اللغة وبيان أقسامها وفصائلها ، وخواص كل قسم ومخارجه وما تعتمد عليه من أعضاء النطق وطريقة إحساس السامع بها ، وحروف النطق وخواصها .

ويطلقون على هذا البحث اسم " الفوناتيك " (phonetic) ،أي علم الصوت ، ويقوم بدراسة اللغة من حيث دلالتها أي من حيث إنها أداة للتعبير عما يجول بالخاطر ، ويطلق عليه اسم " السمانتيك " (semantique) أي علم الدلالة ، ومن الفونتيك والسيمانتيك (علم الصوت وعلم الدلالة) يتألف أهم فرع من فروع علم اللغة وأدقها وأكثرها نضجًا .

وينتظم علم الدلالة بحوثاً كثيرة أهمها :

١- البحث في معاني الكلمات ومصادر هذه المعاني ، واختلافها في لغة ما باختلاف عصورها ، والأمم الناطقة

٢-بها ، وموت بعض معاني الكلمة ونشأة معان جديدة ، وما يترتب على ذلك من قوانين وظواهر لغوية ، ويطلق عليه " ليكسيكولوجيا " (lexicologie)، أي علم المفردات

٣-البحث في قواعد المتعلقة باشتقاق الكلمات وتصريفها وتغير أبنيتها بتغير المعنى وما يتصل بذلك ، ويطلقون عليه اسم " المورفولوجيا " (Morfhologie) ، أي علم البنية .

وهو ثلاثة أنواع : -

أ- المورفولوجيا التعليمي (علم البنية التعليمي) :

ويدرس قواعد اللغة لمجرد جمعها وترتيبها وتنسيقها ، حتى يسهل تعلمها وتعليمها ، ومراعاتها في الحديث والكتابة ، ومن هذا النوع : علم الصرف في اللغة العربية .

ب- المورفولوجيا التاريخي (علم البنية التاريخي) :

ويدرس قواعد اللغة دراسة تاريخية تحليلية ، حيث يدرس أشكالها التي كانت عليها في أقدم مراحل هذه اللغة ، وما طرأ عليها من تغيير في مختلف العصور والأمم ، وعوامل ونتائج تطورها ، والقوانين التي تسير عليها في مختلف مظاهرها .

ج-المورفولوجيا المقارن (علم البنية المقارن) :

ويدرس قواعد اللغة دراسة تاريخية وتحليلية ومقارنة في فصيلة من اللغات الإنسانية ، أو في جميع اللغات ، فهو يوازن بين اللغات فيما يتعلق بقواعد البنية في كل منها .

هذا والقسمان (ب ، ج) هما اللذان يدخلان في نطاق علم اللغة ، أما القسم (أ) فليس من بحوث علم اللغة ، وإنما هو من بحوث القواعد التعليمية .

رابعاً : البحث في أقسام الكلمات (اسم وفعل وحرف) وأنواع كل قسم ووظيفته في الدلالة وأجزاء الجملة وترتيبها .

وأثر كل جزء منها في الآخر ، كتأنيث كلمة أو تذكيرها ، أو تثنيتها أو جمعها ، وعلاقتها ببعضها أو ربطها بغيرها ، وعلاقة الأجزاء ببعضها ، وتقسيم العبارة إلى جمل ، وطرق فصلها أو وصلها ، وهو ما يطلق عليه اسم (السنتكس) (syntax) ، أي علم التنظيم ، وينقسم كما انقسم المورفولوجيا (علم البنية) إلى : تعليمي ، وتاريخي ، ومقارن [٦٩] .

خامساً : البحث في أساليب اللغة واختلافها باختلاف فنونها (الشعر والنثر والخطابة والكتابة والمسرح) ، وباختلاف العصور والأمم الناطقة بها ، وهي طرق تطوير الأساليب وقوانينها ، وهو ما يسمى (الستيليستيك) (stylistique) ، أي علم الأساليب .

وفيه ثلاثة أنواع :

([٦٩]) أ- السنتكس التعليمي : أي علم التنظيم التعليمي ، ومنه بعض أبواب النحو والمعاني في اللغة العربية ، وهو العلم الذي يدرس قواعد التنظيم في لغة لمجرد جمعها وترتيبها وتنسيقها حتى يسهل تعلمها وتعليمها في الحديث والكتابة .

ب-السنتكس التاريخي : أي علم التنظيم التاريخي ، وهو الذي يدرس قواعد التنظيم في لغة ما دراسة تاريخية تحليلية .

ج- السنتكس المقارن : أي علم التنظيم المقارن ، ويدرس قواعد التنظيم دراسة تاريخ وتحليل ومقارنة في فصيلة من اللغات ، أو في جميع اللغات .

أ- **علم الأساليب التعليمي** : لجمع القواعد المتعلقة بأساليب اللغة ، ومنه أبواب المعاني والبيان والبديع في اللغة العربية .

علم الأساليب التاريخي : لدراسة الأساليب في لغة ما دراسة تاريخية في مختلف مراحل هذه ، وفي مختلف الأمم .

ج-**علم الأساليب المقارن** : لدراسة الأساليب في عدة لغات دراسة تاريخ وتحليل ومقارنة .

والقسمان (ب ، ج) يدخلان في نطاق علم اللغة ، أما القسم (أ) فليس من بحوث هذا العلم ، بل هو من بحوث علم البلاغة .

القسمان (ب ، ج) يعدان من فروع علم اللغة ، أما القسم (أ) فليس من بحوث هذا العلم ، هذا ومن المورفولوجيا ، والسنتكس ، أي علم البنية وعلم التنظيم ، يتألف ما يسمونه (الجرامير) (grammarie) أي القواعد ، وتكون دراسته تعليمية وتاريخية ومقارنة .

سادساً : البحث في أصول الكلمات (الايتيمو لوجيا) ، في لغة ما ، وهذا البحث يدرس أمورًا جزئية ، وليس من شأن دراسته الوصول إلى القوانين كما يفعل علم الأصوات (الفونيتيك) ، أو كما يفعل علم الدلالة (السيمانتيك) ، وإن كانت الصلة بينه وبينها وثيقة ، وذلك أن معرفة أصول الكلمات يساعد كثيرًا على الوقف على تطور الأصوات والدلالات ، وكشف القوانين العامة الخاضع لها هذا التطور في مظهريه : (الأصوات والدلالة) ، ومنه نصل إلى معرفة أصول الكلمات .هذا ومن أهم أقسام (الايتيمولوجيا) قسم يسمى (الأونوماستيك) للبحث عن أصول الأعلام المختفة : أعلام الأشخاص والقبائل والعشائر والجبال والأنهار والأمصار ، ومن فروعه ما يسمى (بالتونوماستيك) للبحث عن أصول أسماء الأمكنة على اختلاف أنواعها .

سابعاً : بحوث اجتماعية : تبين العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية ، وأثر المجتمع وحضارته ونظمه وتاريخه وتركيبه وبيئته الجغرافية في الظواهر اللغوية المختلفة .

ثامناً : بحوث نفسية تدرس العلاقة بين الظواهر اللغوية والنفسية بمختلف أنواعها من : تفكير وخيال وتذكر ووجدان ونزوع .

ولهذه البحوث أثرها في دراسة اللغة كغيرها من البحوث الاجتماعية السابقة ، ولا يخلو منها بحث لغوي ، لذا عنى علماء النفس بهذه البحوث وجعلوها موضع فرع مستقل من علمهم سموه (علم النفس اللغوي

تاسعاً: بحوث في الفيولوجيا ، وهي بحوث غير محددة ، لاختلاف مدلول الكلمة باختلاف العصور والأمم ، وقد تطلق على كل البحوث السابقة ، وتطلق أحيانًا على دراسة قواعد وتاريخ وأدب ونقد ونصوص لغة أو لغات ، كما تطلق ويراد بها دراسة الحياة العقلية في أمة ما ، أو في طائفة من الأمم ، وبهذا ترادف ما يسمى (أدب اللغة وتاريخ الأدب) .

❁ ويطلق على جميع البحوث السابقة عدا (الفيولوجيا ، والمورفولوجيا التعليمي ، والسنتكس ، والستليستيك التعليمي) اسم (علم اللغة) .

هذا وقد وضع مؤلفو العرب بحوثًا في الصرف والنحو والبلاغة وأدب اللغة وتاريخ أدب اللغة لبحوث من فصيلة المورفولوجيا والسنتكس والستليستيك التعليمي ، وبعض أنواع الفيولوجيا .

❁ وكل هذا ليس من علم اللغة في شيء، أما علم اللغة نفسه فقد درس مؤلفو العرب بعضه تحت أسماء مختلفة ، أشهرها (فقه اللغة) .

والفقه : فهم الشيء ، وقيل : كل علم لشيء فهو فقه .

" أغراض علم اللغة "

يهدف علم اللغة من دراسته للظواهر اللغوية ، إلى أغراض وصفية تحليلية ، منها :

١-الوقوف على حقيقة الظواهر اللغوية ، وعناصرها وأسسها القائمة عليها (الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية) .

٢-الوقوف على الوظائف التي تؤديها اللغة في مظاهرها المختلفة ، ومجتمعاتها الإنسانية المتنوعة .

٣-الوقوف على العلاقات التي تربطها بعضها ببعض ، أو بما عداها من الظواهر الاجتماعية والنفسية والتاريخية والجغرافية والطبيعية والفسيولوجية والأنثروبولوجية .

٤-الوقوف على أساليب تطورها واختلافها باختلاف الأمم والعصور .

٥-كشف القوانين التي تخضع لها في جميع نواحيها : في تكونها ونشأتها وأدائها لوظائفها وعلاقاتها المتبادلة ، وعلاقاتها بغيرها ، وتطورها .

٦-فهم الكثير من جزئيات اللغة وحل الكثير من مشكلاتها .

٧-تعليم اللغات القومية ، وتقديم وصفًا دقيقًا لأصوات اللغة يستفيد منها الطلاب على النطق السليم للغة .

" علم اللغة بين العلوم الأخرى "

يحتاج علم اللغة في دراسته إلى تخصصات علمية مختلفة ، وهناك ظواهر لغوية لا يستطيع عالم اللغة أن يسهم فيها بشيء ، وإنما يستشير العلوم الأخرى المتخصصة ويطلب منها العون ، فمثلا دراسة اللغة من الناحية الصوتية – يتوافر على دراستها :

" علم وظائف الأعضاء " (physiology) ، ويقوم بدراسة أعضاء النطق عند الإنسان ، ويعاونه في ذلك " علم التشريح" (Anatomy) ، ويدرس الصوت بعد خروجه من فم المتكلم وانطلاقه في الهواء

" علم الفيزياء " (physics) ، ويدرس الأمواج الصوتية في الهواء فيما بين المتكلم والسامع وبيان أثرها ، وتحديد الخصائص الفيزيائية للصوت ، وكذلك (هندسة الاتصالات) التي تهتم بالصوت تحسينًا وتكبيرًا وتوصيلًا عبر الأثير إلى مسافات بعيدة ، عن طريق إرسال

الموجات الصوتية مع موجات أخرى كهرو مغناطيسية تسير في أغوار الفضاء .

المهم أن مثل هذه العلوم لا يستغنى عنها علم اللغة ، بل لابد أن يبسط إليها يده يلتمس منها العون ، فتمده بما تملك من خلاصة تجاربها التي تساعده في محاولة تفسير الظاهرة اللغوية .

وهناك فروع أخرى من المعرفة النظرية يربطها بعلم اللغة برباط وثيق فهناك علم الاجتماع الذي يدرس اللغة على اعتبار أنها من أهم مقومات المجتمع البشري ، وكذلك (علم النفس) الذي يدرس اللغة وعلاقاتها بالعقل الإنساني ، وهناك (الأنثربولوجيا) الذي يدرس اللغة وعلاقاتها بالثقافة .

أي أن علم اللغة يضم من الناحية النظرية فرعين كبيرين هما :-

١-علم اللغة الاجتماعي .

٢-علم اللغة النفسي .

أولًا : علم اللغة الاجتماعي :

لا تحيا اللغة إلا في ظل مجتمع إنساني ، وهي مؤسسة تؤدي وظائف اجتماعية ، فهي ذات صلة وثيقة بكل أشكال السلوك الاجتماعي في المجتمعات الحديثة ، ويتمثل هذا عند استحضار تاريخ هذا المجتمع أو تجاربه الماضية ، أو عند الاتصال المباشر بالأحداث أو بالتجارب اليومية ، أو عند مباشرة العمل ، وتوجيه القائمين به ، فكان علم اللغة وثيق الصلة بعلم الاجتماع ، لأنه علم يستكشف العلاقة بين اللغة والمجتمع ، ووجوه التأثير المتبادل بين الحياة الاجتماعية وظواهر اللغة المختلفة ، ويسمى ذلك (بعلم اللغة الاجتماعي) ، الذي يعد من أكثر المجالات التي أحرزت تقدمًا سريعًا في الدراسات اللغوية الحديثة، وهو يهتم بدراسة اللغة في سياقها الاجتماعي ، ويدرس طرق تفاعل اللغة مع المجتمع ، كما يهتم علم اللغة الاجتماعي بموضوعات كثيرة ، من أهمها : -

١-اللهجات (Dialects) المختلفة في المجتمعات المختلفة (مدينة – قرية – بادية) وكل مجتمع منها يتحدث بلهجة تختلف اختلافًا ضئيلًا عن لهجة المجتمع الصغير المجاور له ، فلو رأينا نجد أن العالم العربي مقسم إلى وحدات سياسية مختلفة ولكنها تتحدث لغة واحدة ، ويغلب في هذه الحالة أن يكون لكل وحدة سياسية لهجة خاصة تميزها عن غيرها .

أي أن كل دولة من الدول تتميز عن سواها بلهجة خاصة تعرف بها : نحو : الإنجليزية فهي مختلفة عنها في أمريكا وفي استراليا ، وفي نيوزيلندا ، وفي

أفريقيا فكل قطر من هذه الأقطار يتكلم لهجة مختلفة من لهجات اللغة الإنجليزية.

٢-اللهجات الفردية (Idiolects)، بمعنى أن لكل فرد في المجتمع لغته الخاصة التي تميزه عن غيره ، كما أن هناك خصائص في لغة الفرد تشير إلى طبقته الاجتماعية ، وفيها ما قد ينبيء إلى المهنة ، كذلك لوازم فردية يعرف الشخص بها كترداده لكلمات أو عبارات معينة بصفة مستمرة كقوله في نهاية كل أو عدة جمل : خليك معايا – أنت فاهم – سامع –خلي بالك ....

كما أن هناك سلوكيات لغوية مرضية في لغة المتكلم تميز الأفراد بعضهم عن بعض ، فنجد الثأثأة ، والفأفأة ، كما نجد من لا يعتني بمخارج الحروف ، أو من يتكلم بسرعة ، أو يتكلم ببطء شديد ، أو بصوت عال ، أو لا يكاد يسمع صوته .

ولا تتصف اللهجة الفردية بالثبات ، فالفرد يظل طوال حياته يكتسب اللغة ، ويعدل أو يبدل فيها ، والنمو الثقافي ، وتغير المراكز الاجتماعية ، والانتقال من طبقة لأخرى ، فيحدث ذلك تغيرات كبيرة في لغة الفرد سواء في طريقة الكلام أو في المفردات والتراكيب .

يقول (وليم لابوف) (Wiliam labov) :

" إن شعور الناس بالنسبة للانتقال أو التحول الاجتماعي له أثر كبير للغاية على الأشكال اللغوية التي

يختارونها ، فمثلا الناس الذين يرغبون في الانتقال إلى الطبقة الاجتماعية العليا عن طبقتهم يتخذون لغة تلك الطبقة " .

٣-دراسة التغاير اللغوي الاجتماعي : -

تتغير الأساليب اللغوية التي يستخدمها الفرد بتغير الموضوع من جهة ، والمشاركين في الحديث أو المستمعين له من جهة أخرى، كما تتغير بفعل عوامل بعضها اجتماعي أو نفسي أو كلاهما معا ، واللغويون – في الوقت الحاضر – يهتمون بنوع هذا التغيير أو الانتقال من أسلوب إلى آخر وأسباب هذا الانتقال ، ويتعاون معهم في ذلك علماء الاجتماع وعلماء النفس للتوصل إلى أنواع الأساليب المختلفة التي يستعملها الفرد في المقامات والمناسبات المختلفة .

٤-دراسة اللغة وأثر الجنس فيها : -

حيث الفرق الواضح بين أصوات النساء وهي أكثر حدة وأعلى طبقة من أصوات الرجال كما أن النساء أكثر وضوحًا في النطق من الرجال ، كما أن للنساء كلمات خاصة بهن لا يستخدمها الرجال ، نحو الألوان : الموف ، والبيج ، واللبني ، ويكثر في لغة النساء الصفات التي تعبر عن جيشان العاطفة .

وتزداد هذه الفروق في المجتمعات المغلقة التي تحافظ على تقاليدها الأصيلة فلا تسمح بالاختلاط بين الرجل والمرأة ، وتقل أو تتلاشى في المجتمعات المفتوحة التي تبيح الاختلاط بين الجنسين في شئون الحياة المختلفة .

٥-دراسة الكلام المحظور اجتماعيًا : -

كل مجتمع له أعرافه الاجتماعية التي تجعل هذا المجتمع يرفض استعمال كلمات معينة ، مثل الكلمات التي تدل على الموت أو الأمراض الخبيثة ، أو الأشباح والجن ، والكلمات التي تشير إلى عورات الجسم الإنساني ، أو غيرها من الكلمات المبتذلة التي ينفر منها المجتمع .

ثانياً : علم اللغة الأنثربولوجي : -

العلاقة بين هذا العلم وعلم اللغة علاقة تاريخية ، ومن أهم الموضوعات التي يدرسها : العلاقة بين اللغة والثقافة ، فميدان (الأنثربولوجي) هو دراسة المجتمعات والثقافات الإنسانية وتاريخها وتتابع نموها وتطورها ، ودراسة الثقافات البشرية وأدائها لوظائفها في كل زمان ومكان ، باعتبار أن اللغة انعكاس لثقافة المجتمع الذي يتكلمها ، وتعبير عن اهتماماته ومجالات نشاطه ، واهتم هذا العلم بالعلاقات بين لغة شعب من الشعوب وبقية جوانب ثقافته ، كما يدرس الكيفية التي ترتبط بها لغة جماعة معينة بمكانة تلك الجماعة أو وضعها الاجتماعي ، والرموز اللغوية المستخدمة في الشعائر والاحتفالات ، واختلافها عن الكلام العادي اليومي .

كما يهتم بدراسة العمليات التي تنتقل بواسطتها اللغة من جيل إلى جيل ، وكيفية نقل المعتقدات والمثل العليا والتقاليد إلى الأجيال التالية ، ودراسة اللغة على أساس أنها مرآة تنعكس على صفحتها حياة ونشاط مجتمع ، وباعتبارها الأداة التي تقوم بتشكيل ثقافة المجتمع وطريقة تفكيره ، وقد ذهب إلى ذلك (هردر – وهمبولت) في أوربا ، و(سابير) في أمريكا .

ويقول (سابير) : " البشر لا يعيشون في العالم المادي وحده ، ولا في عالم النشاط الاجتماعي بالمفهوم العادي ، ولكنهم واقعون تحت رحمة اللغة المعينة التي اتخذوها وسيلة للتفاهم في مجتمعهم ، إنه لوهم كبير أن نتخيل أن فردا ما يتكيف مع الواقع دون استخدام اللغة " .

وحقيقة الأمر أن العالم الحقيقي مبني إلى حد كبير على العادات اللغوية لمجتمع معين كما أنه ليس في العالم لغتان تتشابهان تشابهًا كبيرًا إلى درجة اعتبارهما تمثلان نفس الواقع الاجتماعي ، إن العوالم التي تعيش فيها المجتمعات المختلفة عوالم مختلفة لا مجرد عالم واحد نسميه بأسماء مختلفة .

ويقول (وورف) (Worf) تلميذ سابير : " إن اللغة ليست مجرد وسيلة للتعبير عن الأفكار ، بل هي نفسها التي تشكل هذه الأفكار "

وأرى أن نمط اللغة المتكلمة لدى مجتمع ما لا يمكن أن يحدد نوعية الثقافة التي يتلبس بها ذلك المجتمع ، لتباين المجتمعات في الأعراق والثقافة وإن كانت تتكلم لغات تنتمي إلى نمطية واحدة ، كالحضارة الإسلامية التي شارك فيها العرب والفرس والروم .

ثالثاً : علم النفس اللغوي : -

اللغة مظهر من مظاهر السلوك الإنساني ، فقد اهتم بها علماء اللغة و علماء النفس ، فعلماء النفس يهتمون بالظاهرة اللغوية ليوضحوا السلوك بصفة عامة .

كما يهتم علم النفس بمعظم نواحي اللغة مما له علاقة بالعقل والنفس البشرية ، بينما يهتم اللغويون باللغة ليبينوا السلوك اللغوي بصفة خاصة تظهر العلاقة الوثيقة بين العلمين في مجال التحليل النفسي ، كما يحدث لدى المحلل النفسي في دراسة الأحلام للكشف عن بعض العقد أو الأمراض أو الأزمات النفسية لدى شخص معين ، فإنه يطلب منه أن يتكلم لغة ، فيقوم المحلل بدراسة الألفاظ والتعابير لا الأحلام في حد ذاتها ، الدراسة اللغوية تقوم على دراسة القوى النفسية الكامنة ورائها ، كما تقوم الدراسة النفسية بالاستعانة بمعطيات علم اللغة ، ومن ثم حدث امتزاج بين العلمين ، مما تمخض عنه نشوء (علم اللغة النفسي) .

وقد ذهب (تشومسكي) إلى أن دراسة اللغة يجب أن يقوم أولًا على دراسة العقل الإنساني ، ويرى أنه من الأوفق أن يكون علم اللغة فرعًا من فروع علم النفس الإدراكي ، وإن كان هذا الرأي لا يوافقه عليه معظم علماء اللغة.

أقسام علم اللغة العام

ينقسم إلى موضوعات مترابطة ومن أهمها :

١- علم اللغة الوصفي : -

إذا كان علم اللغة العام يهتم بدراسة اللغة العامة ، فإن علم اللغة الوصفي يقوم بدراسة لغة أو لغات معينة ، أو يهتم بوصف لهجة معينة من لهجات لغة معينة كوصفه للهجة محلية أو إقليمية أو اجتماعية لطبقة أو فئة معينة ، وذلك في فترة زمنية أو فترات زمنية محددة ، مستعملا نوعا خاصا من اللغة " كلغة الصحافة ، أو السياسة ، أو الدبلوماسية أو لغة الصوفيين " أو لغة رجال القانون ، أو الكتاب ، أو الأغنياء والفقراء ، أو الجائع والشبعان .

بمعنى أن (علم اللغة الوصفي) يتناول بالدراسة العلمية لغة واحدة أو لهجة واحدة في زمن بعينه ومكان بعينه ، فيبحث المستوى اللغوي الواحد من جوانبه : الصوتية ، والصرفية ، والنحوية والمعجمية ، بحثًا وصفيًا ، أو تاريخيًا ، معتمدًا على الملاحظة المباشرة للظواهر اللغوية ، ولا يهدف إلى وضع قواعد يفرضها على المتكلمين باللغة .

٢- علم اللغة التاريخي : -

ظهر علم اللغة التاريخي في أوربا في القرن ال (١٨) في أثر دراسة اللغات المختلفة واتصال الأمم بعضها ببعض [٧٠] ، ويعد " جريم " من أوائل المؤسسين لهذا العلم [٧١] ، ويهتم بدراسة اللغة في فترات زمنية مختلفة لرصد التغيرات والتطورات التي أصابت هذه اللغة في نظامها ، وعلى مستوياتها المختلفة من النواحي الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ، أي أن علم اللغة التاريخي يبحث في تطور اللغة الواحدة عبر القرون ، وما أصابها من رقي أو انحطاط أو قوة أو ضعف .

فتطور النظام الصوتي للعربية الفصحى وتطور الأبنية الصرفية ، ووسائل تكوين المفردات في العربية على مدى القرون ، وتطور الجملة الشرطية ، أو جملة الاستفهام في العربية الفصحى مما يدخل في الدراسة الصوتية والصرفية والنحوية والتاريخية والمعاجم التاريخية .

كما يتناول هذا العلم تطور اللغة وحياتها في المجتمع وظروف انتشارها ووظيفتها ، فدراسة مستويات الاستخدام اللغوي المختلفة في حياة كل لغة وأثر ذلك في بنيتها وأهميتها الحضارية ومكانتها بين اللغات مما يدخل في إطار علم اللغة التاريخي .

٣- علم اللغة المقارن : -

يهتم هذا العلم بدراسة مقارنة بين لغتين أو أكثر أو لهجة خلال مرحلة أو أكثر من مراحل تاريخية مختلفة مظهرًا أوجه الاختلاف والاتفاق بينهما وليبين التطور التاريخي للغة أو اللهجة ، وقد تكون المقارنة بين لهجتين أو أكثر ، أو يقارن بين اللغة العامة المشتركة ، أو اللغة النموذجية وبين لهجاتها المتفرغة منها

موضوع علم اللغة المقارن :

دراسة الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية في اللغات المنتمية إلى أسرة لغوية واحدة ، أو فرع من أفرع الأسرة اللغوية الواحدة ، ويهتم بتصنيف اللغات إلى أسرات أو فصائل بمقارنة هذه اللغات ، وبيان العلاقات التاريخية بين هذه اللغات التي تكون فرعًا لغويًا واحدًا أو أسرة لغوية واحدة هو مجال البحث في علم اللغة المقارن ، هذا العلم يقارن بين لغتين أو أكثر من أجل الوقوف على أوجه الشبه وصلات القربى كالمقابلة بين العربية الفصحى و إحدى لهجات الفرنسية ، وعلم اللغة المقارن يعتمد على المنهج الوصفي ، لأنه يتطلب القيام بدراسة وصفية مستقلة لكل لغة يتم مقارنتها بلغة أو بلغات أخرى ، والدراسة المقارنة هي شكل من أشكال الدراسة التاريخية ، لأن تشعب اللغة الأم أو الأصل إلى لغات إنما هو تطور تاريخي .

([٧٠]) انظر : محاضرات في علم اللغة – د / سيد شرف ، ود / عبد الهادي السلمون – ص ١١٠ ، نقلًا عن فقه اللغة العربية – د / محمد مبارك – ص ٢٩ – ط٣.

([٧١]) انظر : مدخل إلى علم اللغة – د / محمد حسن عبد العزيز – ص ٢٨٥.

٤- علم اللغة العام (النظري) :

ويشمل كل فروع البحث اللغوي ، ويدرس اللغة الإنسانية عامة ، ويدرسها في ذاتها ، ولذاتها ، ويهتم بوضع واستنباط قوانين اللغة ومناهجها وبحوثها الوصفية والتاريخية والمقارنة ، ودراسة مسائل وقضايا علم اللغة ، كما يدرس الصراع اللغوي وعوامل انتشار اللغات ، واللهجات ، والازدواج اللغوي ، وانحطاط ورقي اللغة الإنسانية عامة .

ويرى (ماريو باي) أن علم اللغة العام ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

علم اللغة الوصفي ، أو التركيبي : ويركز على أساس الدراسات الصوتية والفونيمية

وعلم اللغة التاريخي : ويركز على ماضي اللغة وتطورها التاريخي

وعلم اللغة الجغرافي : ويعد فرعًا للفرعين السابقين ، وإن لم يعط العناية الكافية من جانب الباحثين رغم خصوبته .

٥- علم اللغة التقابلي :

وهو حديث ، ويقوم بالمقابلة بين لغتين أو أكثر ليست من أسرة لغوية واحدة كالعربية والإنجليزية ، فهما من أسرتين مختلفتين ، أو بين لغتين أو لغة ولهجة ، ويهدف هذا العلم إلى بيان أوجه الخلاف بين اللغتين أو اللغات المختلفة ، وهو عكس هدف علم اللغة المقارن .

٦- علم اللغة التطبيقي : -

يهتم بدراسة اللغة ذاتها ، والمسائل المتصلة باللغة كماهية اللغة ، وعملها ، والسمات المشتركة بين اللغات وماهية اللغات الخاصة والمماثلة والمخالفة بين اللغات ، والتطور التاريخي للغات ، وبالإضافة لاهتمام علم اللغة التطبيقي بهذه الجوانب ، فإن هناك عددًا من مجالات الدراسة التي يمكن أن تتناولها هذه الدراسة التطبيقية مثل : علم اللغة النفسي ، وعلم اللغة الاجتماعي ، وهندسة الاتصالات – والأسلوب – وتعليم اللغة عمل المعاجم ، والعناية بالظواهر اللغوية كالنبر والتنغيم ودراسة عيوب النطق والكلام وأسبابها وعلاجها ، وسنفصل على وجه السرعة هذه الجوانب التي تتناولها الدراسة التطبيقية .

١- علم اللغة النفسي : -

يهتم عالم أو باحث اللغة في هذا المجال بقضايا ومسائل علم النفس من كيفية اكتساب اللغة من المجتمع والعوامل المؤثرة في ذلك ، كما يهتم علم اللغة النفسي بدراسة طرق تعلم اللغات الأجنبية واكتسابها ، ويهتم أيضًا بدراسة عيوب النطق والكلام و أسباب ذلك وطرق علاجها ، وغير ذلك من المسائل المشتركة بين علم اللغة وعلم النفس .

وقد ترجع العلاقة بين العلمين إلى طبيعة اللغة باعتبارها أحد مظاهر السلوك الإنساني ، فعلم النفس : يعني بدراسة السلوك الإنساني ، وعلم اللغة يهتم بدراسة السلوك اللغوي ، كما يهتم علم اللغة بالعبارات المنطوقة عند صدورها من الجهاز الصوتي للمتحدث ، وأثناء مرورها في الهواء ، وعند تلقي الجهاز السمعي للمخاطب لها، بمعنى أن العلاقة بين الجهاز العصبي والجهاز النطقي من اهتمام علم النفس ، وأن العمليات العقلية السابقة على صدور العبارات المنطوقة من اهتمام علم النفس أيضًا ، أما علم اللغة فيضع اهتمامه

في الظاهرة الصوتية التي تصدر عن المتحدث وتمضي في شكل موجات صوتية فتصل المتلقي (اللغة) أو الرموز الصوتية .

❁ وقد أفاد علماء النفس المحدثين من مناهج التحليل اللغوي في بحثهم للسلوك اللغوي ، ولكن هذا لا يمنع من تحديد مجال اختصاص كل من الفريقين .

وهكذا نرى أن علماء اللغة ركزوا جهودهم على اللغة كنظام صوتي يحتاج إلى تحليل ووصف ، وهنا يحتاج عالم اللغة إلى علم النفس لدراسة الدوافع النفسية لدى المتكلم ، وقد أصبحت اللغة بذلك أداة مهمة لعلماء النفس لفهم النفس البشرية ، كما أن الدراسة النفسية أصبحت تقدم للغويين مزيدًا من المعرفة عن جوانب هامة متصلة باللغة لم تكن معروفة لهم من خلال الحدث اللغوي المادي وحده .

❁ هذا وقد تطورت الدراسات اللغوية والنفسية في العشرين عامًا الماضية لتجعل من جوانب اللقاء بين علم النفس وعلم اللغة فرعًا مستقلًا بذاته هو علم اللغة النفسي psycholinguistics أو علم نفس اللغة ، أو علم النفس اللغوي .

٢-علم اللغة الاجتماعي : -

اللغة ظاهرة اجتماعية حضارية ، تتأثر بالمجتمع وتؤثر فيه ، فهي تنمو وتنقرض ، وتوضح وتغمض ، وتنحط وترقى ، وتوحد وتنقسم ، وذلك كله يتأثر بالمجتمع ونظمه وتقاليده وعاداته وعقائده، واتجاهاته ، ودرجة ثقافته ، كما تنتقل الأمة من حياة البدائية والتخلف والحوشية والبساطة والجلافة إلى الرقي في الألفاظ والتهذيب في الأسلوب .

فاللغة كذلك مرآة لأخلاق الأمة ، تتأثر بالاستقرار والاضطراب ، والسلم والحرب ، فنتيجة الصراع قد ينقسم المجتمع وتنقسم اللغة إلى لهجات أو العكس ، وقد يحدث غزو عسكري يتبعه غزو لغوي فتشيع ألفاظ جديدة ، وتنقرض ألفاظ أخرى – كتأثر اللغة العربية بعد الفتوحات الإسلامية بالفرنسية واليونانية والقبطية ، وتأثرها حديثًا بعد احتكاكها بالغرب (إنجلترا وتركيا و إيطاليا) .

ونتيجة لذلك وعلاقة اللغة بالمجتمع وتأثرها به خصص العلماء فرعًا لغويًا مستقلًا سموه (علم اللغة الاجتماعي)، لدراسة الطرق التي تتفاعل بها اللغة مع المجتمع .

كما يدرس اللهجات الاجتماعية والازدواج اللغوي والتأثير المتبادل بين اللغة والمجتمع [٧٢] ، وعلى جانب آخر خصص علماء الاجتماع فرعًا آخر من فروع علم الاجتماع سموه

(علم الاجتماع اللغوي) (Sociology of language) وظيفته : دراسة اللغة كوثيقة هامة للغاية لتفسير الظواهر الاجتماعية كما تصورها .

وهذا العلم يدرس اللغة وعلاقتها بالظواهر الاجتماعية ، وعلى ذلك فالعلاقة وثيقة بينهما ، أي يصح أن أقول : دراسة اللغة من منطلق اجتماعي ، أو دراسة المجتمع من منظور لغوي .

وهناك عدة تسميات أطلقت على جوانب اللقاء بين علم اللغة ، والعلوم الاجتماعية في بحثها للغة ، وتعددت هذه التسميات بتعدد أسماء العلوم الاجتماعية ومدارسها المختلفة ، ولا داعي أن نخوض فيها الآن

([٧٢]) انظر : معجم علم اللغة الحديث – د / كمال بشر وآخرون – ص ٨٤.

والمهم أن الباحثين فالعلوم الاجتماعية أفادوا من نتائج البحث اللغوي في دراسة اللغة كمظهرمهم من مظاهر السلوك الاجتماعي، ومن أوضح سمات الانتماء الاجتماعي للفرد ، كما أفاد اللغويون من الدراسات الاجتماعية ، فدراسة الألفاظ ودلالتها على نحو دقيق لا تتم إلا في إطارها الاجتماعي والحضاري ، والتغير اللغوي لا يفسر إلا في ضوء الظروف الاجتماعية والحضارية وغير ذلك من القضايا اللغوية التي تحتاج في وضوح معالمها كاملة بالتعاون بين الدراسات اللغوية والاجتماعية والحضارية [٧٣] .

٣-علم اللغة الآلي :

يهتم بدراسة اللغة وإمكانية تطويعها لتقديمها إلى العقل الالكتروني ومدى الاستفادة من هذا التقدم العلمي الهائل في مجال الترجمة الآلية والفورية خاصة ، والدراسات اللغوية عامة .

٤-علم وضع وصناعة المعاجم: -

يهتم هذا العلم بإعداد المعاجم ووضعها ، ومناهجها وطرقها سواء كان إعداد المعاجم في مجال اللغة الواحدة كالمعاجم العربية : كالمعجم الوسيط أو المنجد ، أو بين لغتين مختلفتين كما في المعاجم – عربي – إنجليزي والعكس ، أو القواميس متعددة اللغات – مثل : عربي – إنجليزي – فرنسي .

وهناك أيضًا اهتمام علمي دقيق بصنع وإعداد المعاجم المتخصصة في مجال فن معين أو علم معين ، مثل القاموس اللغوي ، والفلسفي ، والهندسي ، حيث يقوم هذا العلم بكيفية جمع المواد اللغوية وترتيبه وتنسيقها

" مناهج علم اللغة "

تاريخ علم اللغة الحديث يبدأ باكتشاف اللغة السنسكريتية (sanscrit) وحل رموزها على يد (السيروليام جونز) الإنجليزي في سنة ١٧٨٦م ، حيث اقتصرت الدراسات اللغوية قبل ذلك على دروٴاسة فيولوجيا اللغتين اللاتينية والإغريقية ، ولم يكن هناك نصيب من الدراسة للهجات الشعبية أو للغات غير الأوربية ، وكان أس الدراسة الذي يدور حوله اللغويين هو البحث في أصل ونشأة اللغة ، وتقويم اللغات من حيث الأسلوب أو الثروة اللفظية أو ضخامة التراث أو التاريخ الأدبي للغة .

وهذه البحوث وشبهها قد نبذها علم اللغة الحديث وراء ظهره ، لأنها ميتافيزيقية أو ذاتية يعتمد الرأي فيها على التخمين ، ثم بدأ علماء اللغة بعد ذلك يبحثون اللغة بمناهج مختلفة مستمدة كلها من طبيعة اللغة نفسها ، فاستخدموا :

[المنهج الوصفي ، ثم المنهج التاريخي ، ثم المنهج المقارن] (٧٤) .

أولًا : المنهج الوصفي :

([٧٣]) انظر : في التطور اللغوي – د / عبد الصبور شاهين – ص ٨ وما بعدها – ط ١٩٨٨م – مكتبة الشباب ، ودراسة القضايا اللغوية في ضوء العلوم الاجتماعية ، وأصول البنيوية في علم اللغة والدراسات الأنثربولوجية – عالم الفكر د / محمود فهمي حجازي – ص ١٨٠:١٥١-١٩٧٢م – ومقدمه في علوم اللغة ص ١١٧ ، ١٧٨ .

([٧٤]) انظر : مقدمة في علوم اللغة – ط ثانية – ١٩٧٩ – دار المعارف بمصر – ص ١٩١، ١٩٢ ، (والمنهج) : هو الطريقة التي يسير عليها الباحث عند بحثه لقضية من القضايا ، أو معالجة ، ومناقشة موضوع ، أو نظرية تتعلق بعلم من العلوم بهدف الوصول إلى غاية (هدف) ، وطرق البحث تختلف باختلاف أهداف الباحثين ، وباختلاف العلوم ، والمناهج .

يُعد (دو سوسير) أول من دعا إلى تطبيق(المنهج الوصفي) في دراسة اللغة ، وأول من وضع الأسس العلمية الدقيقة لهذا المنهج ، وقد أطلق على هذا العلم اسم (سايكروني) بمعنى علم اللغة التزامني ، أي في الزمن ، وقد أطلق عليه مصطلح آخر هو (علم اللغة التركيبي) ، لأنه يهدف إلى وصف تركيب البنية اللغوية ، وكان اللغوي السويسري " دوسوسير " أول من أبرز إمكان بحث اللغة ، أو اللهجة بالمنهج الوصفي ، وكان المنهج المقارن هو السائد حتى القرن التاسع عشر .

- ❖ والمنهج الوصفي يهتم بدراسة وتحليل البنية اللغوية لأية لغة أو لهجة ، لذا نرى أن أية دراسة صوتية أو صرفية أو نحوية ، أو دلالية لإحدى اللهجات القديمة ، أو الوسيطة ، أو الحديثة تعد دراسة وصفية ،
- ❖ وهناك مجالات كثيرة لبحث النقوش والنصوص العربية القديمة بالمنهج الوصفي ،
- ❖ ودراسة الأبنية الصرفية المنتمية إلى مستوى لغوي واحد تعد دراسة صرفية بالمنهج الوصفي
- ❖ ودراسة جوانب بناء الجملة في مستوى لغوي واحد تعد دراسة نحوية بالمنهج الوصفي ، وإعداد المعاجم الصغيرة كلها تتم بالمنهج الوصفي .
- ❖ ويقوم هذا المنهج على وصف اللغة المنطوقة المعينة في حالة الثبات ، حيث يقوم الباحث بوصف اللغة وتسجيل مظاهرها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية المتزامنة ، وليس من تخصصه تفسير الظاهرة ، أو الحكم عليها بالصواب ، أو الخطأ ، وإنما حسبه تسجيل الواقع اللغوي تسجيلًا أمينًا ، وفيه توصف اللغة حسب الشكل الموجود في فترة زمنية معينة وبيئة مكانية محددة حتى لا تختلط اللغات أو لهجات اللغة الواحدة بعضها ببعض ، فهو منهج علمي ساكن ، لا يقتضب الباحث فيه ما هو مفصل ، ولا يبسط ما هو معقد .
- ❖ والمنهج الوصفي هو المنهج السائد الآن في علم اللغة الحديث ؛ لأن التنظيم الباطني للقواعد الداخلية للغة هو المهم ، وليس تاريخها أو نشأتها ، أو مراحل تطورها هو المهم ، وعلى ذلك فالتناول التاريخي للظاهرة اللغوية ليس تناولًا علميًا ، أما المنهج الوصفي فهو المنهج الصالح لدراسة اللغة على أساس علمي موضوعي وهو يحقق فائدة علمية وهي تعليم الناس اللغات الأجنبية وتعريفهم الطريقة الصحيحة لاستخدام لغاتهم .

ومع ذلك فمن الصعب الفصل بين المنهجين : الوصفي والتاريخي ، فالدراسة اللغوية التاريخية لا يمكن أن تقوم إلا على أساس المنهج الوصفي ، وذلك لأن متابعة التغير التاريخي للغة لابد من سبقه بوصف المراحل المختلفة التي مرت بها اللغة ، مرحلة أثر مرحلة .

ثانياً : - المنهج التاريخي :

يقوم المنهج التاريخي على : دراسة تطور اللغة الواحدة في مراحلها المختلفة عبر القرون [٧٥] ويعتمد على ما دون – من نصوص ، وهو يتتبع الظاهرة اللغوية من أقدم عصورها التاريخية

([٧٥]) انظر : مقدمة في علوم اللغة – د / البدراوي زهران – ص ١٩١ ، ١٩٢ – ط ثانية – ١٩٧٩م – دار المعارف بمصر .

إلى أحدثها مسجلًا التغيرات التي تلحق بها ، سرها وأسبابها ونتائجها .
أي أن هذا المنهج منهج استرجاعي يستعيد ماضي اللغة ويهتم بتاريخها عن طريق الوثائق القديمة .
وقد سمى(دو سوسير) علم اللغة التاريخي باسم (دياكروني) بمعنى: عبر أو خلال الزمن .
وعلم اللغة التاريخي أو التطوري يقوم بدراسة اللغة المكتوبة من خلال تغيراتها المختلفة عبر الزمان والمكان ، فاللغة هي بناء حاضر ، ونتيجة ماض ، وحركة متطورة ، والتغير اللغوي يسير في كل الاتجاهات (في الأصوات والتراكيب الصرفية والنحوية والدلالات) ، ولا يحدث هذا التغير بدرجة واحدة ، ولا يخضع لنظام معين ثابت ، ويعتمد المنهج التاريخي على اللغة المكتوبة كما يعتمد على المنهج الوصفي للغة بتتبع تغيراتها ، والدراسة التاريخية تتصف بالحركة ، وعدم الاستقرار ، ولذلك يقول ماريو باي : " أما علم اللغة التاريخي فهو علم بفاعلية مستمرة فهو يدرس اللغة من خلال تعبيراتها المختلفة .

ثالثاً : المنهج المقارن

- يركز هذا المنهج على دراسة الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية أو الدلالية المشتركة بين اللغات التي تنتمي إلى أسرة واحدة الأصل ، ولقد استخدم (بوب) في بحثه (نظام التصريف في اللغة السنسكريتية) المقارنة بينهما وبين الألمانية واليونانية واللاتينية ، وأماط اللثام عما بين اللغات الهندية الإيرانية من جهة ، واللغات الإغريقية واللاتينية والجرمانية من جهة أخرى من تشابه وسمات مشتركة ، وفعل ذلك علماء كثيرون ،

ونتج عن تطبيق هذا المنهج ، تصنيف اللغات وربطها بعضها ببعض، واكتشاف ما بين هذه اللغات من سمات مشتركة ، مما جعلهم يطلقون عليها اسم(فصيلة اللغات السامية) التي تشمل اللغات الأكادية(الأشورية والبابلية) واللغات الكنعانية (العبرية والفينيقية) ، واللغات الآرامية واللغة العربية الشمالية والجنوبية ، واللغة الحبشية .

- كما اكتشف اللغويون صلات القرابة التي تربط اللغات الحامية(اللغة المصرية القديمة، والقبطية الحديثة ، والبربرية ، واللغات الكوشيتية) .

كل استنتاج قائم على نظم افتراضية ، فعلم اللغة المقارن باستطاعته تحديد تغيرات معينة خضعت لها لغة ما في مرحلة معينة من مراحل تطورها التاريخي ، أو دراسة لغتين من فصيلة واحدة ، كالعربية والسريانية مثلًا .

رابعاً : المنهج المعياري

أنكر أصحاب هذا المنهج نظرية التطور اللغوي، ورأوا أن اللغة ظاهرة جامدة ، وأن اللغة ثابتة ، وأن التغيير في اللغة أمر فاسد يجب التصدي له ، كما يجب وضع قواعد معيارية للغة ويعتبر الخروج عنها أمر خطأ ، ومن وافقها فهو الصواب .

وقد ساد هذا المنهج عند الإغريق والرومان والمتأخرين من نحاة العرب ، حتى مطلع العصر الحديث ، حيث تراجع أمام المناهج الأخرى قليلًا .

خامساً : المنهج التقابلي

ويقوم بدراسة الثقافات والحضارات المختلفة بين لغتين من قبيلتين مختلفتين ، كالعربية والإيطالية مثلًا [٧٦] ، أو العربية ، والألمانية ، كما يجب أن تحدد الدراسة مستوى بعينه في اللغتين المدروستين كالفصحى فيهما أو العامية فيهما مثلا ، وتركز الدراسة التقابلية على جوانب الاختلاف بصفة أساسية في اللغتين موضوع الدرس وتقوم أولًا بدراسة وصفية للظواهر في كل لغة على حده ، ثم تقوم بعد ذلك بدراسة تقابلية تقارن فيها اللغتين ؛ لمعرفة أوجه الاختلاف بينهما فهي دراسة تبدأ وصفية ثم تنتهي تقابلية ، وبجوار هذه المناهج الأساسية والبارزة في مجال البحث اللغوي ، فهناك مناهج أخرى كمنهج الملاحظة ، والاستقراء ، والتجريبي ، والمنهج النفسي والاجتماعي ، ولكل منهج مدارسه وعلماؤه وباحثوه ، ومؤيدوه ومعارضوه وناقدوه ، وإن كانت هذه المناهج ذات صلة بعضها ببعض وصولًا للهدف الرجو

" مستويات التحليل اللغوي "

اللغة الإنسانية هي نظام من الرموز الصوتية ، أو هي نسق من العلاقات ، وهذا النظام أو النسق تتحكم فيه قواعد معينة ، في مجال التحليل اللغوي ، ولتبسيط البحث وتيسيره نعمد إلى تجزىء الظاهرة اللغوية إلى مستويات أربعة ، ثم نفحص كل مستوى على حدة في محاولة لبناء نموذج أو صورة للغة لكي نستطيع تفسيرها و إلقاء الضوء عليها، وهذه المستويات الأربعة هي [٧٧] :

١- **المستوى الصوتي** : (phonetics)

ويدرس من خلاله منهجه مواضع النطق وصفات الحروف ، من حيث الجهر والهمس والانفجار والاحتكاك والترقيق والتفخيم ، كما يدرس مخارجها ، ومعانيها ، والنبر والمقاطع والتنغيم في لغة معينة باعتبار الأصوات اللغوية وحدات صوتية مجردة منعزلة عن سياقاتها ، أو باعتبار الصوت اللغوي وحدة في نسق صوتي فتهتم الدراسة ببيان الأشكال المختلفة التي يتشكل بها الصوت ، وكذلك بيان وظائفه وقيمه .

([٧٦]) انظر : أسس علم اللغة . د / محمود فهمي حجازي – ص ٤١ ، وعلم اللغة التقابلي . د / أحمد ياقوت – ص٧ وما بعدها " الدراسة المقارنة هي تللك التي تعني بإجراء موازنة بين لغتين من أصل واحد كالعربية والعبرية ، أما الدراسة التقابلية فهي تلك التي تجري موازنة بين لغتين من أصلين مختلفين كالعربية والانجليزية " .

([٧٧]) انظر : دراسات في علم اللغة د / كمال بشر ص١١ وما بعدها ، وعلم اللغة د / علي عبد الواحد وافي ، ومدخل إلى علم اللغة – د / محمود فهمي حجازي ص ٣١ ، ومقدمة في علوم اللغة ص ١٩٥ ، ومقدمة لدراسة فقه اللغة – د / محمد أبو الفرج – ص ١٢٢ وما بعدها ، ومن أسس علم اللغة – د / محمد حبلص – ص ١٣٠ ، والعربية معناها ومبناها – د / تمام حسان – ص ٢٣٩ ، ومدخل إلى علم اللغة – د / محمد حسن عبد العزيز – ص ١٩٩ وما بعدها ط ١٩٩٢م – مكتبة الشباب – القاهرة .

- ويطلق على هذا القسم من هذه الدراسة (فونولوجي)[٧٨] ، أما القسم الثاني فيطلق عليه مصطلح (الفوناتيك) ، ويدرس الأصوات (مادة الكلام الإنساني) ، مع بيان صفاتها ، وأقسامها ، وخواصها ، ويدرس جهاز النطق ، وتشريحه ، ومخارج الحروف، والأذن، وتأثير هذه الأصوات في الهواء الذي ينقلها بين السامع، والمتكلم .

٢- **المستوى الصرفي** : (Morphology)

ويدرس الصيغ اللغوية وبناء الكلمة وطرق تشكيلها من اشتقاق ونحت وإلصاق ، والتغيرات التي يطرأ عليها ، ويصنف الصيغ إلى أجناس كالفعل والاسم والأداة ، أو التذكير والتأنيث ، والإفراد والتثنية والجمع ، والتغيرات الصرفية نتيجة الأصوات المتجاورة ، كقولهم : مقال واستقال و إقالة وقوَّل وقلت من مادة (قول) [٧٩] .

هذا ويعلج علم الصرف الوحدة المسماة بـ (المورفيم) وهو أصغر وحدة ذات معنى في اللغة المدروسة ، أي الكلمة ، نحو : كلمة (معلمان) نجدها تتألف من مورفيمين هما (معلم) ، و (أن) ولا يمكن تقسيم الكلمة (معلم) أو (أن) إلى أقسام أخرى لها معنى .

٣- **المستوى التركيبي أو النحوي** (syntacs)

ويدرس نظام الجملة وتحليلها ووضع الكلمات في الجمل ، والعلاقات النحوية التي تربط بين عناصرها المختلفة ، ويدرس أيضًا أنواع الجمل من إثبات أو نفي أو استفهام أو تعجب وغير ذلك ، ونظرًا للارتباط الشديد بين علمي النحو والصرف فأطلق عليهما : قواعد النحو ، أو النحو (Grammar)، واتصالًا بهذه الدراسات ، وانبثاقًا عنها في الدرس اللغوي الحديث ظهرت مناهج جديدة في دراسة التراكيب من بينها المنهج التوليدي التحويلي[٨٠]

٤- **المستوى الدلالي** (sematics)

علم المعجم وعلم المعاني : ويقوم بدراسة معاني المفردات ، والعبارات ، والعلاقات الدلالية المختلفة ، مثل : الترادف ، والتضاد ، والاشتراك اللفظي ، والتغير الدلالي وأسبابه ، والتطور التاريخي للكلمات وما يلحقها من حياة أو موت ، أو رقي ، أو انحطاط، كما يدرس ربط الكلام
بمقام استعماله ومراعاة مقتضى الحال ، كذلك يدرس تاريخ الكلمات واشتقاقاتها .

❖ إذن اللغة تخضع إلى مجموعات من الضوابط ، وعديد من النظم التي تقنن ظواهرها، كما تتعدد مستوياته ، ويتطلب كل مستوى معرفة الروابط التي تنظمه ، والقواعد التي تحكمه ، واللغة وسيلة

---

(٧٨) راجع الفصل القادم كيفية إنتاج الصوت ومراحله الثلاثة : إنتاج وانتقال واستماع ، وأنها تتنوع بتنوع المجرى (والمخرج) ، والخصائص الصوتية من جهر وهمس ، وشدة ورخاوة ، وتفخيم وترقيق ، وإمالة ، فلو نطقت (صفر وسفر) ، (ويصير ويسير) ، و(يمت ويمد) ، و(باد وبات) لما وجدت خلافًا في النطق ، لاتفاقهما في المجرى والمخرج ، والخصائص الصوتية ، وإن اختلفتا في صفة صوتية واحدة كالسابقة .

(٧٩) أي أنه يهتم بالوحدات الصرفية الحرة (المستقلة) ، أو (المنفصلة) ، كما يهتم بالوحدات الصرفية المقيدة (المرتبطة ، أو المتصلة بغيرها من الكلمات) ، وكذلك بالوحدات الصرفية التتابعية (التي تتابع فيها مكوناتها الصوتية دون فاصل) ، والوحدات الصرفية غير التتابعية) ، كما يدرس الأنماط الصرفية الخاصة بالتحليل اللغوي ، وتختلف الأنماط في بنية مفرداتها .

(٨٠) انظر : مقدمة في علوم اللغة – د / البدراوي زهران – ص ٢٠٠.

تعايش بين الفرد والمجتمع ، وبدونها ما كان له أن يعبر من نطاق ذاته إلى الآخرين ، وأن يقيم جسورًا من الصلات بينه وبينهم ، وذلك بنقل الأفكار والمعلومات وتبادل الخبرات ، كما أن اللغة وسيلة للتنفيس عن مشاعر الإنسان إزاء ما يحيط به في حياته وبتنفيسه عن مشاعره ، يعبر في الحقيقة عن مواقفه وطموحه

وفي هذا الفرع يقول أستاذي الدكتور/ تمام حسان[٨١] :

" اللغة نتاج اجتماعي بلا شك ، ويراعي الكشف عن هذا الجانب الاجتماعي في إبانة المعنى وهو ما يعرف بالمعنى الدلالي الذي هو معنى المنطوق الذي هو نشاط نطقي بخلاف المعنى المعجمي العام الذي هو معنى الكلمة

وهذه المستويات السابقة الأصوات ، الكلمات ، الجمل) هي مبني للغة ، أي ما يشبه أن يكون روحًا أو عقلًا للغة

- **والخلاصة** : أن النشاط اللغوي الإنساني ليس عملية سهلة ، لتداخل العديد من المؤثرات في هذا النشاط ، وكذلك لخضوعه للنظم المتعددة ، والتي يخضع الإسنان لها عند ممارسته لهذا النشاط اللغوي .

.....

" أثر السنسكريتية في علم اللغة "

كان الكشف عن اللغة " السنسكريتية " . sanscrit لغة الهنود القدماء ، والذي اهتدى إليها في عام ١٧٨٦م ، " السير وليم جونز " sir.w.jones الإنجليزي ، هو شهادة الميلاد الحقيقية لعلم اللغة الحديث فقد كان هذا الكشف حدثًا هامًا في الدراسات اللغوية من نواح عديدة :

١-فقد مكن اللغويين من إدراك ما بين اللغات الهندية والإيرانية ، وبين اليونانية واللاتينية واللغات المتفرعة عنهما من صفات التشابه أو التماثل .

٢-فقد ألف " فرانز بوب fransbopp "كتاب " نظام تصريف السنسكريتية " وبيَّن فيه العلاقات .التي تربطها بالجرمانية والإغريقية واللاتينية وغيرها ، فأوحى ذلك إلى اللغويين بفكرة " الفصائل " أو " العائلات اللغوية "

٣-كما أن كشف " السنسكريتية " أتاح لغويي الغرب الاطلاع على أقدم ما ألف العقل الإنساني وهو كتاب " بانيني " Panini الذي سماه " سوزا " أي الرموز ، وذلك ما بين عامي ٢٥٠: ٣٥٠ ق.م ، حيث وصف " بانيني " في كتابه هذه اللغة وصفًا دقيقًا في نظامها الصوتي والصرفي وخواصها التركيبية ، واستعمالاتها النحوية ، وقد شرح " باثانيالي " في القرن الثاني ق.م – كتاب " بانيني " شرحًا مفصلًا ، ووجد أن دراسة اللغة عند الهنود قد اتجهت اتجاهًا " وصفيًا" ، خالية من التعليل والتأويل ، وهو المنهج السائد في الدراسات اللغوية الحديثة ، وذلك مختلف عما قامت عليه دراسة اللغة عند اليونان ، حيث اعتمدت على المنطق

٤-تستهديه في وضع النظريات والقواعد بينما اتجهت عند الهنود إلى وصف الأنظمة اللغوية المختلفة .

٥-كما أن كشف اللغة السنسكريتية أدى إلى نشأة ما يعرف ب (فقه اللغة) بحدوده المعروفة الآن ، ومن درس للنصوص القديمة في أشكالها المكتوبة ومن اتخاذ اللغة وسيلة لدراسة الثقافة على العموم .

([٨١]) انظر : اللغة بين المعيارية والوصفية – د / تمام حسان – ص ٢.

مقدّمة:

درس الباحثون اللغة قديمًا باعتبارها أهم المميزات التى يمتاز بها الإنسان عن غيره من سائر المخلوقات ، واستخدموا فيها مناهج وطرقًا متعدّدة بأفكار وأساليب متنوعة .واهتموا بوضع القوانين وتنوع المناهج البحثيّة ومنها : المنهج التاريخى ، والوصفى ، والمقارن ، والمعيارى، والتقابلى .حسب نوع البحث وأهدافه طبقًا لرغبات الباحث المتخصِّص في اللغة أو في الأدب .

وفى هذه الدراسة أُحاول مع طلاب البحث العلمى(طلاب الدراسات العليا) أن أعرج بهم إلى هذه الدراسات ، وتوضيح المنهج ، ..وقيمة البحث ومكانته ...

استقيتُ مادة هذه الدراسة من كتب أَساتذتى وزملائى الأفاضل وعلماء اللغة الأجلاء عبر كتبهم وأبحاثهم المنشورة والمنتشرة خلال المكتبة الشّاملة ، والمكتبات العامة والخاصة بالكليّات والمعاهد والمدارس ، وعبر الشبكة العالمية العنكبوتيَّة(النت) وما تقدمه من أصناف البحوث في كافّة المجالات اللغويَّة .

البحث اللغوى عند العرب

ليست الدراسات اللغويّة مبكرة عند العرب؛ وذلك لما يلى:

أولاً : اعتمادهم على الحفظ ، وعلى مشافهة الأعراب ، وعلى التلقى.

ثانياً : ولأن اللغة العربيّة هى لغتهم المتوارثة منذ نعومة أظفارهم .

ثالثاً : ولأنَّ اللغة العربيّة لسان المحادثة والخطابة والشّعر لديهم .

رابعاً : ولكونهم أمّةً أُميَّةً لا عهد لها بالتدوين، ولا تدعو إليه الحاجة.

خامساً:توجيه اهتمامهم إلى العلوم الشّرعيّة والإسلاميّة منذ القرن الثانى الهجرى حيث بدأ علماءُ المسلمين يسجلون الحديث النبوى ويؤلّفون فى الفقه الإسلامى، ثم اتّجهوا إلى تسجيل العلوم غير الشّرعيّة ومن بينها اللغة والنّحو .. وذلك كله لخدمة النصّ القرآنى ..

سادساً: لم يُؤثر عن العرب أى نوعٍ من هذه الدراسات قبل الإسلام فلقد سبقتهم إلى تلك الدراسات أُممٌ كثيرة حتى نزول القرآن باللغة العربيّة لم يكن للعرب سبق تدوين لغتهم ودرسها ، ولم يكن لهم عهد بالتأليف ولا بالقراءة ، ولا بالكتابة، ولا بالحساب ، وقد أكّد ذلك الحبيبُ المعصُوم سيدنا" مُحمَّدٍ [ﷺ] فى حديثه:"إنَّا أُمَّةٌ أُميَّةٌ لا تقرأُ ولا تحسب".

فلما جاء الإسلام، وامتدّت فتوحاته بدت الحاجة إلى جمع اللغة وتفسيرها وإلى تعليمها ، وإلى الحفاظ عليها ممَّا قد يتسرّب إليها من اللحن الذى تفشّى نتيجة اختلاط العرب بغيرهم من العجم فى الأسواق عن طريق التجارة، والخطابة، ومجالس الشّعر، هذا وقد أنكر سيدنا عمر، وسيدنا علىّ(رضى الله عنهما) اللحن ؛ فرسِم الإمام لأبى الأسود الدؤلى عمل النحو وصناعته، فكان ذلك من الدواعى الملحة لوضع القواعد النحويّة التى تقى اللسان من الخطأ فى الأصوات ومعانى الكلمات والأساليب والقواعد التى فسد منها ما فسد ؛ فكان ذلك دافعًا داعيًا إلى جمع الألفاظ مؤيدة بمأثُور الكلام وبخاصّة الشّعر حتى تظلّ اللغة واضحةَ المعانى فيستعان بها على فهم ما قد يخفى من ألفاظ القرآن الكريم؛ لذا قيل:"إذا أُلبسَ عليكم شئ من القرآن فالتمسُوهُ فى الشّعر فإنى عربىّ"، وفى المزهر للسيوطى :" إذا سألتم عن شيء من غريب القرآن فالتمسُوهُ فى الشّعر؛ فإنَّ الشّعرَ ديوانُ العربِ"، إضافة إلى احتياج أهل البلاد المفتوحة الذين اعتنقوا الإسلام إلى تعلّم اللغة العربيّة؛ لفهم كتاب الله وسُنّة رسُوله مُحمَّدٍ [ﷺ] ؛ ليثبت ذلك الدين فى نفوسهم ويعرفُوا مبادئه وتعاليمه .ومن هنا فإن لقاء اللغة العربيّة بلغات البلاد التى فتحها المسلمون أوجد تشوهًا فى أُصُولها، وفى طريقة أدائها، وإلى إهمال بعض الألفاظ العربيَّة واستعمال كلمات أجنبيَّة دخلت العربيّة للحاجة إليها فشاعت على ألسنة الناطقين بها من أهل تلك البلاد ، ثم دورانها فى الاستعمال العام وإهمال نظائرها العربيّة ، أو تقليدًا من العرب لما استعذبُوهُ من ألفاظ تلك اللغات الأخرى نتيجة اتّساع نطاق الاختلاط بالأعاجم .. ولا شك أن العربيّة صرعت لغات البلاد المفتوحة ـ كالفارسيّة فى العراق ، والروميّة فى الشّام والقبطيّة فى مصر ..

بُضاف أيضًا أن بعض العلماء أرادوا أن يُثبتوا براعة العربيّة ورقيّها على غيرها من اللغات وصلاحيتها للحياة والحضارة بجانب الحفاظ على دين الإسلام وكتابه المقدّس[القرآن الكريم]

فالخلاصة أن الدراسات الأوليَّة كانت تهدف إلى الحفاظ على النص القرآنى وفهم مدلوله ومعناه، ومنها نقط أبى الأسود الدؤلى للمصحف الشريف ..

ولا نغفل أن المدونين الأولين للغة دوّنوا المفردات حسبما اتفق، وبقدر ما يتيسّر لهم سماعًا،

فقد يسمعون كلمة فى:[الفرس، والغيث، والأنواء والرجل القصير، والنبات، والشّجر، والإبل ، والخيل، والسّلاح] ، وهكذا يدونون بلا ترتيب ، ثم اتّجهوا بعد ذلك إلى التبويب، والتصنيف ، والتقسيم سواء بردها إلى النظائر،أو بحسب الموضُوعات ، ومنهم من اهتمّ بتسجيل الظواهر الخاصّة بالقبائل ، ومن هنا ظهرت جهودهم فى تكوين المعاجم اللغويّة وإنشائها ، وعلى رأس هؤلاء العالم اللغوى الخليل بن أحمد الفراهيدى [

ت ١٧٠ أو ١٧٥ هـ] وكتابه " العين " بما حوى من تبويب للمادة اللغويّة واهتمام بالألفاظ والمفردات من حيث الجمع والتفسير والإحصاء ، وأيضًا العالم اللغوىّ ابن السرّاج [ت ٢١٦ هـ] فى أُصُول النحو ، وابن جنّى [ت ٣٩٢هـ] فى خصائص العربيّة ، وابن فارس[ت ٣٩٥هـ] فى فقه اللغة وأُصُولها وخصائصها ، بجانب نحوها وصرفها .

لكن الفكر العلمى المتوهج لم يزل يحسّ أن لغة العرب لم يُكشَف بعد عن كلّ أسرارها ، بل إنّ كلّ ما عرف من نحو وصرف وألفاظ إنما يمثّل فروعًا لم يصل البحث العلمى بعد إلى جذورها وأُصُولها والمعرفة العلميّة ، ولا تتمُّ بالفروع ، ولا تتحقّق بالجزئيَّات ..

ومنذ نهاية القرن الرابع الهجرى توالى التأليف فى متن اللغة وفقهها ولكن دون مناهج مبتكرة أومادة علميّة جديدة فى أغلب الأحيان ، وتبيَّن ذلك فيما تلاه من عصُور ..

ففى القرن الخامس الهجرى ظهرت مؤلّفات لغويَّة تحوى بحُوثًا متعلّقةً بفقه اللغة ومتنها ،كـ[كتاب فقه اللغة: للثعالبى ت ٤٢٩ هـ] بما فيه من اهتمام بمعانى الألفاظ، والكلمات المعربة، والمنسوبة، والمقارنة بين اللغات، ودرجة استعمال الألفاظ كثرة وقلّة،وغيرها من المباحث المتعلقة بمتن اللغة،وفقهها، واشتقاقاتها، ومجازاتها، والمعرب منها، ودلالة الألفاظ ،والمشترك اللفظى، والترادف،والتضاد، وقضايا الإبدال ، والمذكر والمؤنّث، والأصيل والدخيل ، والصّحيح والضّعيف ، وتداخل اللغات وتوافقها،والقلب والإبدال ، والنحت ، وغير ذلك من البحُوث اللغويّة كما فى كتاب[مبادئ اللغة للإسكافت ٤٢١هـ]، وكتاب[المخصّص لابن سيدة ت ٤٥٨هـ]، ومعجم" أساس البلاغة " للزمخشرى [ت ٥٣٨ هـ]..

وفى القرن السّابع ألَّف ابنُ منظور[ت ٧١١ هـ] كتابه " لسان العرب" وفى القرن العاشر ألّف السّيُوطى [ت ٩١١ هـ] كتابه " المزهر " فى علوم اللغة ..

وفى القرن الحادى عشر يؤلّف شهاب الدين الخفاجى كتابه " شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل .. وأعتقد أن معظم ما جاء من مؤلّفات بعد نهاية القرن الرابع كان نقلاً من علوم السّابقين .... وهى على كلّ حال دراسة مفيدة إلى جانب ما يبدو لأصحابها . أحيانًا . من آراء مدعمة بالكثير بما ورد فى كتب السّابقين

ومع تقسيم الدولة العباسيّة إلى دويلات ثم سقوطها واستيلاء غير العرب على مقاليد الحكم فى البلاد أخذت الحركة العلميّة تخبو ، وفرّ مَنْ فرَّ من علماء القطرين[المشرق والمغرب]إلى مصرَوالشّام بعد سقوط الخلافتين العباسيَّة والأندلسيَّة،وضاعت معظم المؤلّفات،وذهب جُلُّ الكتب فى الفتن الكائنة من التتار وغيرهم .. وبذا ضعفت تلك النهضة العلميَّة وركدت الحركة اللغويَّة العربيَّة ؛ نتيجة اهتمام الأتراك بلغتهم التركيَّة

والعمل على إضعاف اللغة العربيّة ، وإن كانت حركة التأليف موجودة ومستمرّة فى النقل عن السّابقين، أو تلخيص ما قالُوه ، أو شرحه ، أو التعليق عليه .

بدأت الحركة العلميّة فى الظهور فى العصر الحديث بعد مجئ الحملة الفرنسيّة ورحيلها عن مصر، فانتشر التعليم ، وأُوفدت البعثات العلميَّة إلى أُوربا ، ونما الاتّصال الفكرى بين العرب والغرب، واستجلاب العلوم الغربيَّة الحديثة إلى مصر، كعلوم اللغة،وعلم الطباعة، وظهور الصحافة والمسرح ودور الخيالة، ثم دور الإذاعة، ممّا كان له الأثرُ الأكبر فى ذيُوع اللغة العربيَّة ، وارتقاء الفكر ، وغزارة المعارف ، فظهرت الحاجة إلى مناقشة قضايا اللغة لتفى بحاجة المجتمع ، فأنشئت المجامع اللغويّة فى مصر والعراق وسوريا ، وكان لذلك فضل كبير فى نهُوض الدراسة اللغويّة وظهور بحوث علماء اللغة المحدثين كدراسة أصوات اللغة وتراكيبها ودلالاتها، ودراسة اللهجات ، وبادرت الجامعات المصريَّة فى تدريس هذه العلوم على الطلاب ، وحثّ طلبة الدراسات العليا فى التنقيب عن تراث الأجداد ، ومدى التأثير والتأثّر

تنوعت البحوث اللغويّة عند العرب خوفًا من اللحن، وحفاظًا على كتاب الله تعالى ، *وقامت دراسات متنوعة للغة* ، منها :

أولاً : جمع الألفاظ :

أ ـ جمع الألفاظ من البادية لأخذ اللغة من الأعراب الفصحاء وتدوينها صافيةً دون شوائب العجمة نتيجة الفتوحات الإسلاميَّة واختلاط العرب بغيرهم من الأُمَم ، وتشمل ألفاظًا خاصّة ببعض الموضُوعات كما فعل الأصمعى وأبو خليفة الدينورى وأبو زيد فى أسماء الوحوش والنبات والشّجر، والإبل والخيل، والسّلاح ، والأنواء، والغرائز، والجرائم .

ب ـ جمع الألفاظ الموضُوعة لمختلف المعانى كما فعل ابنُ السكيت فى الألفاظ، والهمذانى فى الألفاظ الكتابيَّة، والإسكافى فى مبادئ اللغة، وابنُ سيدة فى المخصّص .

ج ـ جمع ألفاظ اللغة على نظام معجمى دقيق ومنظم ومشروح شرحًا وافيًا مؤيّدًا بمأثُور الكلام شعرًا ونثرًا : قرآنًا وحديثًا ... وقد جاء على يد الخليل فى أوّل معجم عربى[العين]،وسار على دربه الأزهرى فى تهذيبه والقالى فى بارعه، وابن سيدة فى محكمه، وابن دريد فى جمهرته ،كما انتهج الجوهرى فى صحاحه طريقة القافية، وحذا حذوه الفيروز أبادى فى قاموسه، وابن منظور فى لسانه..وطريقة الأبجدة عند ابن فارس فى مقاييسه ومجمله،والزمخشرى فى أساسه،والفيومى فى مصباحه وغيرهم من أرباب المعاجم الحديثة.

ثانياً : وضع القواعد التى تقى اللسَان من الخطأ :

وقد قامت به طائفة من العلماء لتصحيح الخطأ اللغوى والحفاظ على طبيعة السليقة العربيّة؛ حتى لا يقع متعلمها فى اللحن، ولتستقيم الألسنة عليها .... ويتم ذلك عن طريق وضع القواعد اللغويَّة الخاصَّة بالمفردات [الاسميّة،والفعليّة،والحرفيَّة]والتراكيب العربيَّة كما نطقها العربىّ الفصيح وقد أُطلق على ما يختصُّ منها بمواقع الكلمات والجمل [علم النّحو] وما يختصّ ببنية مفردات اللغة[علم الصّرف]وتعدّدت البيئات اللغويَّة فاشتهرت البصرة،والكوفة ،وبغداد ،والأندلس،ومصر،وغيرها..وتعدّدت المناهج العلميَّة والمذاهب حيث اعتمد البصريُّون على دراسة الظواهر النّحويّة دراسة وصفيَّة تحليليَّة معتمدين فى دراسة الظاهرة على الكثرة من الشّواهد التى تؤكّد القاعدة التى رأوها ... بخلاف الكوفيين الذين كانوا يكتفون بالشّاهد الواحد ولو لم يُعرف قائله ... ويراه البعض من الباحثين أنه بعيدٌ عن الدرس اللغوى الصّحيح، أى: لا يتفق والبحث العلمى السّديد؛ لما جاء به من تكثير للقواعد ، وتضاربها فى بعض الأحيان ... ثم فريق البغداديين الذى وقف بين الفريقين السّابقين فأخذوا منه ما يوافق هواهم وما يحلو لهم موفقين بين المذهبين فى كثير من قضايا النحو ومسائل الصّرف ... كما أسهمت الفرق الأخرى[الأندلسيون، والمصريون] بآراء لا يُستهان بها .. حتى جاء المتأخرون من أعلام اللغة أمثال الزمخشرى فى المفصل،وابن الحاجب[ت ٦٤٦هـ] فى الكافية والشّافية وابن مالك[ت ٦٧٢ هـ] فى التسهيل والألفيّة، وابن هشام[ت٧٦١ هـ] فى قطر النّدى وشذور الذهب، وأوضح المسالك، ومغنى اللبيب ..

وأعتقد أنها لا تعدو أن تكون دراسات أوليَّة تعليميَّة ؛ لأنها لا تتعدّى أن تكون إصلاح الأخطاء ، وتقويم اللسان إلى جوهر اللغة ..

ثالثا : **الاهتمام بالقراءات القرآنيَّة** :

وقد قامت به طائفة من العلماء[القرّاء ، وعلماء القراءات] لمعرفة أُصُول علم القرآن، وطريقة أدائه حسب الوجوه المروية فيه عن رسول الله مُحمَّدٍ [ﷺ] وكثرعلماء القراءات واشتهروا بالعدالة والأمانة والضبط، وألّفوا فى القراءات فظهر كتاب الحجة لابن خالويه[ت ٣٧٠ هـ] والحجة لأبى على الفارسى، والمحتسب لابن جنّى.. ثم تتابعت الكتب فى القراءات، كاالكشف لمكى ابن أبى طالب [ت ٤٣٧هـ] ، وجامع البيان لأبى عمروعثمان بن سعيد الدانى [ت ٤٤٤هـ] والكافى فى القراءات السبع لأبى القاسم الإشبيلى[ت ٤٧٦هـ] ، والشّاطبيّة لأبى القاسم الشّاطبى[ت٥٩٠هـ] والنشر وغاية النهاية فى طبقات القرّاء للجزرى[ت٨٣٣ هـ] وغيرها من الكتب..والقراءت حفظت أصوات اللغة العربيّة ؛ لأنها تمثل النطق العربى الأصيل لهذه اللغة .

رابعاً : **الدراسة البلاغيَّة** :

وتختصّ بحوثها ببيان فصاحة الألفاظ وجزالتها،وحسن الأساليب، وموقع كل لفظٍ فيها ، ومناسبتها لمقتضى الحال وظهورها قى ثوبٍ لائقٍ بديع وقد قامت هذه البحوث على دراسة الإيجاز والإطناب ، ودراسة علوم المعانى والبيان والبديع ، وأُلّفت الكتب فى مجاز القرآن لأبى عبيدة [ت ٢٠٩هـ]، وإعجاز القرآن للجاحظ[ت٢٥٥ هـ] والبديع لابن المعتز [ت ٢٦٩هـ]،والصّناعتين لأبى هلال العسكرى[ت٣٩٥هـ]،ودلائل الإعجاز وأسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجانى[ت٤٧١ هـ] ومفتاح العلوم للسكاكى[ت٦٢٦هـ] وتلخيص المفتاح للخطيب القزوينى[ت ٧٣٩هـ] .. وغيرها من المؤلّفات .

خامساً : **الدراسة الأدبيَّة والنقديَّة** :

اهتمّ علماء العرب بدراسة نراثهم الأدبى الذى يعى ثروتهم اللفظيَّة ومادتهم الفكريَّة،وأحوالهم الاجتماعيَّة، وعاداتهم،وتقاليدهم، والأخبار والحوادث الاجتماعيَّة التى تبيّن حال الأُمّة العربيّة وأمجادها وانتصاراتها وتكشف عن مستواها الفكرى والحضارى. مستمدّة من مأثُور كلامهم ومن سجل تاريخهم الحافل ...

ونشأ من ذلك علم تاريخ الأدب فقام بدراسة الشّخصيَّات الأدبيَّة ـ للشعراء ، والخطباء ، والكُتَّاب ، متناولة حياتهم ، والمؤثرات عليها والموازنة بينهم ، والموازنة بين نتاجهم من الناحية الأدبيَّة والفنيَّة .. وفى هذا الشّأن أُلّفت كتبٌ عديدة يرجع إليها فى علم الأدب والنقد ..

مفاهيم ومصطلحات

تقتضي الضرورة أن نجد أو نعرف معاني المصطلحات الأربعة التي نحن بصددها..

حقيقة المنهج والبحث :

أولاً:المنهج لغةً: المنهج والمنهاج : هو الطريق الواضح والنهج بتسكين الهاء هو الطريق المستقيم، يقول ابن منظور:طريق نهج :بين واضح وأنهج الطريق : و ضح واستبان وصار نهجا بينا واضحا، وفي كلام العرب : إنّهج رجل ينهج أي يربو من السمن ويلهث، وأنهجت الدابة :صارت كذلك، وضربه حتى أنهج أي انبسط، وقيل بكى، ونهج الثوب ونهج فهو نهج، وأنهج : بلي ولم يتشقق وأنهجه البلى فهو منهج، ويقول الخليل : طريق نهج :واسع واضح، وطرق نهجة، ونهج الأمر وأنهج، لغتان، أي وضح، ومنهج الطريق :وضحه، والمنهاج :الطريق الواضح .

وورد في المعجم الوسيط" : المنهج هو الخطة، ومنه منهاج الد راسة ومنهاج التعليم ونحوهم ، وقد أجمعت معظم المعاجم على أن المنهج هو الطريقة أو الأسلوب ويستخدم هذا المصطلح أيضا للدلالة على طريقة البحث عن المعرفة والاستقصاء ..

كثيرًا ما يوظف المنهج على أنه التيار أو المذهب أو المدرسة، بهدف الكشف عن الطريقة أو الأسلوب لتيار معين ، أو مذهب معين أو جماعة معينة ، يقول أحمد مطلوب إ ن المعنى العام للمنهج هو الأسلوب الذي يقود إلى هدف معين في البحث والتأليف أو السلوك .

والمنهج : يعني" الطريقة أو مجموعة الإجراءات التي تتخذ للوصول إلى شيء محدد كأن نتخذ خطوات تحلل بها الكلمة صرفيا، ذلك أن المنهج والمنهاج يرد في العربية على معنى الطريق الواضح..

والمنهاج :الخطة المرسومة(محدثة) ، ومنه منهاج الدراسة أو منهاج التعليم ونحوهما ...المنهج المنهاج، الجمع مناهج.**والمنهج في الاصطلاح**" :وسيلة محددة توصل إلى غاية معينة

المنهج العلمي : خطة منظمة لعدة عمليات ذهنية أو حسية؛ بغية الوصول إلى كشف حقيقة أو البرهنة عليها، ويقصد" بمناهج البحث :الطرق التي يسير عليها العلماء في علاج المسائل والتي يصلون بفضلها إلى ما يرمون إليه من أغرا "ض، ويقصد بها أيضا" : الأصول التي تتبع لد راسة أي جهاز من الأجهزة اللغوية ."

المنهج جملة الإجراءات والأساليب التي يستخدمها الباحث في جمع البيانات وتصنيفها وتحليلها ، ويوضح ما انبنت عليه من مسلمات نظرية وأسئلة محورية، تبين تبعاتها وتوقعاتها، وتعمم نتائجها وتقترح تطبيقات جديدة، ويكشف عن المبادئ والأسس المنطقية في حل المشكلات كما تقترح صياغات جديدة لتلك المشكلات. ويمكن تعريف الأداة بأنها الطريقة التي استخدمت في جمع المعلومات ، كالمقابلة ، والملاحظة ، أو الاستبانة.

البحث لغةً :

االبحث يعنى طلب الشئ وإثارته، وفحصه، وكلّها معان تشير بالفعل إلى طبيعة البحث العلمى؛ إذ هو طلب لمجهول يستدعى كلّ ما يمكن أن يمدّ الباحث بمعلومات مفيدة فى مجال البحث والتنقيب عنه ، ثم فحص ما تجمّع من تلك المعلومات لطرح ما ليس ذا صلة بالبحث المطلوب وإبعاده ، ثم دراسة وتحليل ما تبقى ممَّا له صلة مباشرة ، أو يساعد على دراسة جانبٍ من جوانبه . والبحث : طلبك الشئ فى التراب ، والبحث أن تسأل عن شئ وتستخير، ويقال:بحث عن الخبر، أى طلب علمه.

وقد وردت كلمة[بحث] فى القرآن الكريم فى موضع واحد فى سياق خبر من أقدم أخبار الإنسان ، دالةً فيه على الطلب فى الأرض ،كما فى قوله تعالى:[فبعث اللهُ غُرابًا يبحثُ فى الأرضِ ليريَهُ كيفَ يُوارى سوأةَ أخيه] المائدة / ٣٦ ...

وبالرجوع إلى كتب اللغة والبحث فيها عن مادة [ب ح ث] نجدها تدور حول معنى واحد هو طلب الشئ وإثارته وفحصه ، والتنقيب والتفتيش عنه .

أمّا البحثُ اصطلاحاً فهو محاولة لاكتشاف المعرفة والتنقيب عنها ، ثم فحصها وتحقيقها بتقصٍ دقيق ، ونقدٍ عميق ، ثمّ عرضها عرضًا مكتملاً بذكاء وإدراك لنسير فى ركب الحضارة العالميّة ، وتسهمُ فيه إسهامًا شاملاً أو هو طلب الحقيقة وتقصسها وإذاعتها بين النّاس ... أو هو الطريقة التى يسير عليها دارس أو باحث ليصلَ فى النهاية إلى حقيقة فى موضُوع من الموضُوعات أو فى علمٍ من العلوم . مؤيدة بالحججِ والأساليب التى تيبهنُ على صدق ما توصّل إليه من خلال أُسلوبٍ علميٍّ قويّ .

والبحث اللغوى لا يحتاج من الباحث اللغوى إلاّ إلى أن يعمد إلى نصوص اللغة ، فيقوم بجمعها واستقصائها ، ثمّ يأخذ فى تحليلها ، وبيان ما اشتملت عليه من عناصر يصفها وصفًا لُغويًّا ، ويُلاحظ ما بينها من علاقات ، وما تؤديه الكلمات من وظائف فى التركيب ، وما تدل عليه التراكيب من معان دون أن يتدخّل برأيه فى شئ من ذلك ، فمهمة الباحث تقف عند[الرصد ، والملاحظة ، والتحليل ، والوصف] فلا يتجاوز تلك النصوص إلى شئ آخرَ من فلسفة أو منطق ، أو أُمور غيبيّة لا سندَ لها من النصّ اللغويّ .

والبحث متعة لا يدرك حقيقتها إلاّ مَن خاض غمرات المجهول بحثًا عن الحقائق ، فإذا وصل إليها ارتاحت نفسه واطمأنَّ قلبه ، ولن تكون للبحث متعته ولذّته المرجوّة إلاّ إذا توافرت فيه الحريّة الكاملة الكافية .

ودراسة البحث اللغوى على أُصُول وقواعد ثابتة دراسة مهمة للغاية ؛ وذلك لأنها تضعُ الباحث فى أوّل الطريق الجامعىّ على أُصشول البحث وقواعده وخطواته فى مجال البحث إلى أن يكتمل فى صياغة تامّةٍ ، سواء أكان بحثًا صفيًّا فى سنوات الجامعة،أم بحثًا لنيل درجة تخصُّصيّة معيّنة .

والبحث اللغوى ما هو إلاّ فرع من فروع البحث العلمى العام ، والعناية به تقتضى الاهتمام بالمصادر والمراجع ؛ لأنهما اللذان يؤخذ منهما مادة البحث .

ومن خلال القراءة والتصفُّح . وهو عمل الباحث . فى كتب التراث لجمع النصوص التى يتكوّن منها البحث ويقوم عليها ، ثم يقوم الباحث بتقييده فى أوراق محفوظة حتى لا ينفلت ما جمعه سريعًا إذا اعتمد على ذاكرته ... لذا قيل :

- العلمُ صيدٌ والكتابةُ قيدُهُ ..... قيد صيودك بالحبال الواثقة

فمن الحماقة أن تصيدَ غزالةً...وتعيدها بين الحدائق طالقة ثم مرحلة التنقيح والاختيار من بين النصُوص المكتوبة ما يكتمل به البحث المطلوب

فليس من الضرورى أن يضيف الباحث جديدًا إلى حقائق العلم والمعرفة لأنه قد لا يتمكن من

إضافة ذلك الجديد ، وتكون مهمته ـ حينئذٍ ـ إقرار حقيقة معروفة ، أو التأكد من صحّة قانون مسلّم يه ، ؛ لأنه ليس بلازم أن ما بحث مرّة لا يبحث ثانية ، أو ما حُقِّقَ مرّة لا يُحقّق ثانية ، وإلا لما تقدّم العلم خطوات إلى الأمام ، فكم من الحقائق التى كانت من المسلمات أضحت ـ بعد البحث والفحص ـ ليست بحقائق وإنما أوهام وظنُون . ... هذا وقد يأخذ البحث اللغوى ـ أحيانًا ـ شكلاً تفسيريًّا نقديًّا ، فيشتمل على الكثير من التعليلات والأدلّة المنطقيَّة بهدف الوصُول إلى حلول ، وذلك حينما يكون موضُوع البحث تقويم لغة أديب ـ مثلاً ـ وينبغى أن يتوفر فيه إلى جانب معرفته التّامّة والدقيقة بعناصر اللغة ـ قوّة الملاحظة ، وحدّة النظر ، والفطنة ، والخبرة ؛ لأن هذه الأشياء جميعًا تؤهله إلى التفسير النقدى ، والتعليل المنطقى ..

فقد يكون من أهداف البحث :

١. شرح البحوث السّابقة التى تحتاجُ إلى شرح وتوضيح وتفصيل

٢. إعادة صياغتها من جديد بأُسلُوب يناسب العصر .

٣ ـ اختصار المطوّل منها دون أن يُخلَّ بشئ من معانيه .

٤ ـ إعادة ترتيبها وتوزيعها من جديد تسهيلاً على القارئ لها .

٥ ـ إجراء موازنة بينها ، وترجيح بعضها على بعض .

٦ ـ عمل تعليقات عليها تزيدها وضوحًا وفائدة .

٧ ـ تكوين موضُوع منظّم من مادة متناثرة .

أهمية البحث:

أولًا: اكتشاف المشكلة:

يعتبر اكتشاف مشكلة وتحليلها شرطًا مسبقًا لإجراء أي بحث؛ لأن الشعور بالمشكلة هو الدافع الذي يستنير البحث، والطالب لا يستطيع أن يكتشف المشكلة إلا إذا كان مهتمًّا بموضوع ما اهتمامًا زائدًا يدفعه فضوله الفكري لمتابعته إن وجده مكتوبًا أو ملاحظًا أو معاشًا على الواقع، ويعتبر الاطلاع والملاحظة المبدئية أمرين مهمين لتنمية المشكلة في طريق التعرف عليها ..

ثانياً: التعرف على المشكلة

لا يمكن أن تحل المشكلات إلا إذا كان الباحث يتمتع بموهبته فى إدراك العوامل المحددة التي أدت إلأى المشكلة أو الصعوبة ، ويعتبر تعيين المشكلة وتحليلها خطورة كبيرة إلى الأمام ، مع اعتبار الاطلاع والملاحظة المبدئية أمرين مهمين لتنمية المشكلة في طريق التعرف عليها..

.ثالثاً: التحديد الدقيق للمشكلة:

على الباحث أن يخصص مشكلة بحثه إلى الحجم الذي يجعل معالجته ممكنة ، ولا يتم ذلك إلا بتقنية خاصة، منها :

أ - تحليل المشكلة إلى مكوناتها اليسيرة.

ب - جمع المعلومات التي قد تعين على فهم المشكلة.

ج - اشتقاق المعاني من المعلومات.

د - تمحيص الافتراضات الكامنة وراء المكونات المقترحة ..

رابعاً: عرض المشكلة:

تؤدي المشكلة المصاغة بطريقة غامضة ، أو مبهمة إلى إرباك الباحث بدلًا من أن ترشده إلى مصادر المعلومات اللازمة لحلها.... ويتطلب وصف للمشكلة عناية فائقة ؛ فالهدف هو عرض الأبعاد الدقيقة للدراسة في صورة لفظية تستخدم مفاهيم ومصطلحات محددة. على أن يصوغ الباحث السؤال الرئيسي والأسئلة المحورية والفرعية التي ينبغي أن يجيب عليها لكي يحل المشكلة..

. هنالك ثلاثة اعتبارات لا بد من توفرها في صياغة المشكلة ، وهي:

- يجب أن تحدد المشكلة علاقة بين متغيرين أو أكثر.

- يجب أن تصاغ المشكلة بوضوح وتوضع في شكل سؤال حتى يسهل تحديدها

-يجب أن يعبر عن المشكلة بحيث يتضمن ذلك إمكانية اختيارها .الحقيقة أن هنالك عدة أسس ومعايير يقوم عليها اختيار المشكلة ، هي:

- الإحساس بالصعوبة.

. وضوح الإشكال وتحديده.

- الأصالة والعمق.

- الفائدة المرجوة والإضافة الحقيقية للعلم ..

- الجدة والطرافة ، بمعنى أنها غير مسبوقة (لم تحل من قبل)..

- تراعى الإمكانيات المادية والعقلية والنفسية الخاصة أسئلة البحث..

: إن أهمية صياغة مشكلة البحث في سؤال مركزي يمكن من فهمها إذ لا تتضح مشكلة البحث تمامًا إلا من خلال طرح مجموعة من الأسئلة المحورية التي تشكل الإجابة عليها حلاً للمشكلة.

على الباحث الذي يريد أن يصل من خلال بحثه إلى نتائج مرجوة الفائدة أن يطرح على نفسه مجموعة من الأسئلة التي تدور حول محور الموضوع تشكل الإجابة المبدئية عليها فروض البحث فروض البحث..

-بناء الفروض تعتبر مرحلة صياغة الفرض واختبار صحتها أو خطئها من أهم المراحل المنهجية عن تخطيط البحوث والفروض اصطلاحًا هي حلول مقترحة او نبوءة علمية لحل مشكلة الأصل أنها تقديرات تتكون من عناصر صيغت كنظام منسق من العلاقات التي تحاول تفسير حالات أو أحداث لم تتأيد بعد عن طريق الحقائق.

. إن الفروض تتضمن حقائق ولكنها تسمو على الحقائق المعروفة لتعطي تفسيرات مقبولة لأوضاع مجهولة..

-أهمية الفرض-:إن فائدة الفروض تبدأ في تنظيم جهود الباحث. وتعينه على تركيز ملاحظاته لاكتشاف العلاقة بين المتغيرات التي ترتبط ببحثه دون تشتت فيقوم الباحث بجمع المعلومات المناسبة لهذه الفروض فيكون أكثر تحديدًا ، وتكون جهوده أكثر إثمارًا ، ويكون بحثه منطقيًا

هيكل البحث وهيئته

تتكون من:

صفحة العنوان ..... البسملة(الآية) ..... صفحة الشكر والعرفان

صفحات المحتويات

صفحة التلخيص

ويكون ترقيمها بالأحرف أ، ب، ج...،

فصول البحث ،

تعريف البحث العلمى:

البحث يعنى دراسة علميَّة دقيقة ومنظمة لظاهرة معيّنة باستخدام المنهج العلمى بهدف الوصُول إلى حقائق يمكن توصيلها كما يمكن الاستفادة منها وكذلك التحقق من صحتها ..... ويقوم البحث العلمى الدّارس لمشكلة البحث . يقوم . على المنهج العلمى لتحقيق عدّة أمور،

الأمر الأوّل:إثراء المعرفة العلميَّة بتعميق الفهم تجاه الظاهرة المدروسة والعمل على إضافة معارف جديدة...والمساهمة فى الوصول إلى التحقّق من صحة الحقائق العلميَّة ..كما يسهمُ فى المعاونة فى استنباط المبادئ والقوانين العلميَّة ... وصياغة الأحكام النظريَّة ..

الأمر الثانى: يعمل البحث العلمى على كشف جوانب المشكلات القائمة ووضع أنسب الحلول لها .. والعمل على مواجهتها ...

الأمر الثالث : يُعدُّ البحث العلمى أحد الأدوات الأساسيَّة التى يستعينُ بها الفرد والمجتمع من أجل تحسين ظروف الحياة وما يحدث فيها من تقدم فى مجالات الطب والفضاء والاتصالات .. ممّا يساعد على تحسين أوضاع الفرد، ويؤدى إلى تنمية الجماعات، والنهوض بالمجتمعات وتطورها والتغلُّب على كافة المشكلات الطبيعيَّة والبيئيَّة والاجتماعيَّة التى تواجهها والتغلب على معوقات نهضتها.

الأمر الرّابع : باعتبار أن البحث العلمىّ نشاط علمىّ منظّم ومحدّد فهو يسعى إلى كشف الحقائق وعناصرها ومعرفة خصائصها ووصفها وعلاقاتها ومعرفة الارتباط بينها ، ثم استخلاص المبادئ العامة ،أو القوانين التفسيريَّة فى إطار العلاقات المتجددة والمتغيّرة ...

- **مقومات[خصائص وسمات] البحث العلمى:**

أولاً : **التراكميَّة** : بمعنى استمراريّة البحث فى الظواهر القديمة من منظور جديد، وبتعمُّق أكبر.. أو البحث فى مجالات جديدة لم تكن مطروحة من قبل بهدف التوسّع ، والامتداد الأُفقى .

ثانياً: **التنظيم**: أن يكون البحث منظّمًا وليس عشوائيًا؛ حيث يتم فيه ترتيب الأفكار والمعلُومات، وتجميع الوثائق، والأرقام فى إطار نتائج علميَّة منطقيَّة ..

ثالثاً: **البحث عن الأسباب**: حيث يهدف التفكير العلمى إلى فهم الظواهر وتحليلها من خلال الوقوف على أسبابها ، ومعرفة أسباب الظواهر للتمكن من التحكم فيها بصورة أفضل ، ومعرفة سبل علاجها .

رابعاً: **النقد والتجريد** : حيث يستخدم البحث العلمى القائم على المنهج العلى المنطقى الرموز والأرقام لتحقيق الدقّة ... كما يسعى للتعبير عن حركة وتفاعل الظواهر الاجتماعيَّة والطبيعيَّة وتحليلها من أجل استخلاص نتائج محدّدة قائمة على عمليّات استقرائيَّة مرتبة المعارف العلميَّة ..

أنواع البحوث وأهدافها:

البحوث متعددة الأنواع والأنماط، فهنالك البحوث العامة الموظفة، وهنالك الأوراق البحثية التي تقدم في المؤتمرات العلمية التي تنعقد لمعالجة مشكلة من المشكلات العلمية، وهنالك الأوراق الأكاديمية التي تنشر في المحلات العلمية، بغية الإسهام في معالجة المشكلات المعرفية هذا إلى جانب الرسائل الجامعية

. وتصنّف البحوث العلميّة وفقاً لأهداف إجرائها إلى :

بحوث أساسيّة : تهتم باكتشاف القوانين العامّة للظواهر والتى تساعد فى تقدّم المعرفة .

بحوث تطبيقيّة: تسعى إلى إيجاد حلول ملائمة لمشكلات قائمة، أو التوصل إلى علاجات لمواقف معيّنة ... وتجرى فى الميدان كما فى العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة، كالدراسات النفسيَّة التربويَّة ... أو تجرى فى المعامل كما فى العلوم الطبيعيَّة ..

.وتصنّف البحوث العلميّة وفقاً لأسلوب البحث إلى :

دراسات كميّة : تستخدم الأرقام والإحصائيَّات والتحليلات الإحصائيَّة فى تحليل بياناتها والوصُول إلى نتائجَ ذات قيمة علميَّة .. ومجال استخدامها فى التربية، وعلم النفس، وهو ما يُعرف بالدراسة الإحصائيَّة

دراسات كيفيّة :وتستخدم اللغة والكلمة فى وصف مادتها ، وفى تحليل بياناتها مقابل الأرقام التى تستخدمها البحوث الكميَّة..وهذه الدراسة تجعل البحث عميقًا ومتوسعًا فى التفسير، والتحليل، والشّرح ، كما تعطى البحوث مزيدًا من الحريَّة فى الإدلاء ببيانات ومعلومات .

ـ وتصنّف البحوث العلميّة وفقاً للمجال العلمى إلى :

البحوث فى مجال العلوم الطبيعيّة :

وتعتمد على التجارب ، ومجالها: المعامل ، وتشمل بحوث: الكيمياء، والفيزياء ، والأحياء،وغيرها من العلوم الطبيعيَّة..

البحوث فى مجالات العلوم الاجتماعيّة:

ومجالها الدراسات الاجتماعيَّة ، وعلم النفس، والعلوم السلوكيَّة، والإدارة وغيرها من تلك العلوم..

البحوث فى مجال الإنسانيّات : وتشمل الدراسات اللغويَّة ، والتاريخيَّة والأثريَّة .

طرق البحث وخطواته

مقدمة

ليس هنالك طريقة واحدة لإنجاز كل البحوث، فلكل بحث ظروفه وملابساته تحددها عوامل كثيرة منها طبيعته، وأهميته ،ومنهجه، فطبيعة كل بحث تختلف عن الآخر حسب نوع العلم الذي ينتمى إليه البحث،

ولكن تبقى هنالك خطوات مشتركة لا بد أن يتبعها كل من أراد أن يجري بحثًا علميًّا ذا قيمة أكاديمية يتوصل من خلاله الباحث إلى نتائج صحيحة....

اختيار موضوع البحث وتحديد الهدف

:إن أمر اختيار موضوع البحث يحتاج إلى وضع موازنات خاصة بالباحث نفسه والإجابة على تساؤلات محددة بالقدرة على القيام به تتراوح بين الجهد المبذول وبين الفائدة المرجوة من ورائه من هذه التساؤلات :لماذا اخترت هذا البحث بالذات ؟ وهل سبقني أحد ببحث هذا الموضوع ؟ وما هي النتائج المترتبة على إنجازه؟ وهل أنا شخصيًّا راغب في تنفيذه؟ وإذا كنت راغبًا هل أنا قادر على القيام بالبحث المبدئي ؟ وهكذا. بعد أن يتمكن الطالب من اختيار موضوع بحثه، لا بد أن يقوم بوصف تحليلي يحدد فيه أبعاد القضية التي يريد بحثها، ولا بد أن تكون منحصرة وغير متسعة أو متشعبة. في الواقع إن تحديد موضوع البحث تحديدًا دقيقًا عاملًا مساعدًا في إنجاز البحث في زمن قياسي ؛ لأنه يجنب الباحث جمع قدر غير قليل من المعلومات ليست ذات الصلة بالموضوع، وهنا عدة إجراءات تساعد في تحديد الموضوع منها

صياغة العنوان وشرحه:

يجب على الباحث أولًا صياغة العنوان بصورة دقيقة تتجنب الإطالة والعبارات الفضفاضة فيجب ألا تزيد عدد كلمات العنوان عن اثني عشر كلمة بأية حال، على أنه يفضل أن تتراوح بين الخمس أو عشر كلمات ليس بينها كلمات ذات مدلولات أخلاقية أو إيحائية، كما ينبغي ألا يحمل كلمات فضفاضة ؛ مثل دراسة حول : أو أضواء حول تحديد المساحة الجغرافية ....

***وتبريرها*: ينبغي ألا يعالج الباحث مساحة جغرافية واسعة، كما لا بد للباحث أن يبرر لماذا اختار هذه القرية**

-تحديد مجتمع البحث:

مجتمع البحث هو مجموعة الأفراد الذين يتناولهم الباحث بالدراسة

-تحديد المدة الزمنية ومبررات اختيارها

فليس من المعقول أن يعالج الدارس فترة تاريخية متسعة في موضوع تاريخي أو اجتماعي، أو نفسي أو تربوي .

تحديد المتغيرات:

المتغيرات هي مجموعة العوامل التي تتفاعل فيما بينها لتخلق نوعًا من العلاقات التي يريد الباحث التحقق منها بالتحديد والإثبات، على أن هناك متغيرًا مستقلاً – وهو الرئيسي – ومتغيرين تابعين، وعلى الرغم من أن المتغير المستقل هو الرئيسي والمؤثر في الظواهر التي يراد دراستها، فإن استصحاب بقية المتغيرات ضرورية

-تحديد هدف البحث:

من الإجراءات التي تساهم في تحديد الموضوع هو هدف البحث ؛ فإن تحديد هدف البحث يساهم في توجيه الباحث لنوعية المعلومات التي يحتاجها لإنجاز بحثه. إن هذه الإجراءات الستة ضرورية لكنها غير كافية لنجاح الباحث في إجراء بحثه؛ إذ إن هنالك العديد من العوامل المتداخلة؛ مثل: شخصية الباحث نفسه ، وأنواع البحوث المناسبة مع قدراته ومهاراته والأستاذ المشرف وغير ذلك ..

أنواع البحوث الجامعيّة :

أولاً : البحث الصّفّى :

يكلّف به الطالب فى أثناء دراسته الجامعيَّة تحت إشراف متخصّص فى المادة ذات البحث . مقترحًا البحث أو أن الطالب هو الذى يقترحه مستعينًا بتوجيهات أُستاذه ، ثم يعرض الطالب ما كتبه أوّلاً فأولاً ... وفى ذلك تدريب الطالب على كيفيّة التنقيب عن المعلومات وجمعها ، ثم ترتيبها منطقيًّا ، ثم عرضها بوضُوح فى أُسلوب سهلٍ جذّاب مستخلصًا منها النتائج على قدر طاقته وإن لم يأتى بجديد مبتكر فى مثل هذه المرحلة لقصر الوقت الذى يجرى فيه البحث .. وأيضًا لعدم إلمام الطالب بالموضُوع إلمامًا واسعًا ، مع عدم استعداده وإعداده لذلك .فإن أتى الباحث بجديد مبتكر فى مجال بحثه دلّ ذلك على موهبة واعدة وباحث يُشار إليه بالبنان فى المستقبل . وهذه البحوث تأخذ مأخذ الجدّ من الطلاب والأساتذة المشرفين عليها ...

ثانياً :أبحاث التخصُّص[الماجستير]:

وهذا البحث أطول وأعمق وأوسع من سابقه ، كما أن مدّته الزّمنيَّة أطول وأقلُّها عامًا .. لأن مثل هذا البحث يتطلّب من صاحبه تحقيق ما يلى :

أولاَ : الوصول إلى نتائج جديدة لم يصل إليها باحث قبله بحيث يسهم فى مجال تخصّصه إسهامًا فعَّالاً يشجع على نشر رسالته على نطاقٍ واسع وهذه النتائج الجديدة تجمع فى خاتمة البحث[الرسالة] تحت باب الخاتمة أو الجديد فى البحث ، أو أهم ما توصّل إليه البحث من نتائج وهذه النتائج تتطلّب من الباحث القراءة الواسعة ، والمعالجة الموضُوعيّة بطرقٍ جديدة لم تُطرق من قبل ..

ثانياً : قد يكون الموضوع إحياء بعض كتب التراث المتصلة بتخصّصه ، وذلك بتحقيقها تحقيقًا علميًّا ؛ ليملأ بها فراغًا فى مجالها . وليس التحقيق بالأمر الهيّن ؛ إذ يتطلّبُ مجهودًا كبيرًا واستعدادًا علميًّا خاصًّا لذا يقتضى إسناد الإشراف إلى أحد الأساتذة المتخصّصين لا تقلّ درجته عن أُستاذ مساعد يكتسب

منه الباحث الخبرات والتجارب التى تساعده على إخراج بحث يحقّق المأمول منه، وتؤهله إلى المرحلة الأعلى[الدكتوراه] وتقتضى غالب الأنظمة الجامعيّة أن يكون البحث[الماجستير] بالنسة للعلوم النّظريَّة . ومنها اللغويّة . فى حدود مائتى صفحة ، وقد تزيد عن ذلك ، وقد تنقص قليلاً حسب نوع الدراسة وميدانها..

ـــ خطوات مختصرة جداً لكتابة البحث الجامعي

بعد اختيار الموضوع ، ينبغي الاطلاع على أهم الكتب والمراجع الأصيلة والمعاصرة المختصة في الموضوع نفسه، والقراءة فيها بتمعّن لاستخلاص خطة البحث منها

تأمل في العناصر التي جمعتها من هذه المصادر وحاول التنسيق بينها وكتابة الخطة على شكل أبواب أو فصول، وتحتها مباحث ، ومطالب ، ومسائل ، حسب حاجة البحث إلى ذلك ، ومن ثم عرضها على المشرف بعد الانتهاء من الخطة وتعديلها إن احتاجت إلى ذلك مع المشرف، يبدأ الباحث في جمع المادة العلمية من مصادرها بكل أنواعها الأصيلة منها والمعاصرة كل مبحث بمفرده ، بحيث يصبح لديك لكل مبحث معلوماته الخاصة به على شكل بطاقات أو ملفات ، سواء دونت المعلومة كلها في البطاقة الخاصة بها أم أشرت إلى مكانها من المصدر التي أفدت منه بالصفحة والجزء، بحيث يكتمل عندك البحث على شكل بطاقات أو ملفات ابدأ النظر في أول مبحث من خلال بطاقاته،لترجع إلى مراجعه التي دونتها عليه لتشرع بعد ذلك في كتابة المبحث، وهكذا حتى تنتهي من البحث، وذلك بعد عرض ما تكتبه على أستاذك ، وخصوصًا في المباحث الأولى من بحثك لتتلقى منه التعليمات الأساسية فيه ؛ لتسير عليها بوضوح .

المقدمة : وتبدأ الحديث فيها بما يناسب البحث ، وتشتمل على

.. ذكر عنوان البحث كاملاً

.. سبب اختيارك لهذا البحث

.. أهميته في نقاط مختصرة

.. خطة البحث موجزة بأبوابها وفصولها ومطالبها

.. المنهج العلمي الذي سرت عليه في بحثك والذي سبق ذكره هنا

.. أهم العقبات التي واجهتك في بحثك وكيف تغلبت عليها

.. شكر من له فضل عليك في بحثك

. الخاتمة : وفيها تذكر أهم النتائج التي توصلت إليها على شكل نقاط مرقمة

ثبت المراجع ، ذكر اسم الكتاب ، ومؤلفه ، ودار الطبع وسنته وبلده ، وترتبها ترتيبًا أبجديًا أو على حسب العلوم ..

: الفهارس ، وتذكر فيها ما تحتاج إليه في بحثك ...

مقومات خطة البحث

يتفق علماء المنهجية على أن خطة البحث ، وطريقة عرضها تقرر مصير البحث موافقة ، أو رفضاً من قبل المجالس العلمية في الجامعات ، وبناء على ذلك يصبح من أهم واجبات طالب الدراسات العليا أن يحرص كل الحرص على دقة صياغة خطة بحثه الذي ينوي تقديمه ، وأن يحكم عناصرها بصورة تبرز أهمية البحث من جهة ، وكفاءة الباحث من جهة أخرى.

ومن المسلَّم به أن البحث من دون خطة سابقة مدروسة بدقة وعناية ، مضيعةٌ للوقت ، وتبديدٌ للجهد ؛ لأن إهمالها والبدء في كتابة البحث من دونها ، ربما يضطر الباحث إلى إعادة الكتابة بعد استنزاف الكثير من الوقت والجهد ، حيث يتبين عدم الترابط والتنسيق بين المباحث فيما بينها ، فيكون من الصعب إعادة تنظيم البحث كلية بعد كتابته.

إن خطة البحث هي رسم صورة كاملة عنه ، وكل عنصر فيها يكمل جانباً من جوانب تلك الصورة ، إنها أشبه ما تكون بالخارطة التي يضعها المهندس المعماري لبناء منزل أو عمارة

قد تكون الخطة موجزة ، وقد تكون مفصلة ، والثانية أهم وأدل ؛ لأنها تقتضي إلماما واسعا بالموضوع ومصادره الأساسية ومشكلاته وقضاياه ، فهي بمثابة " مشروع بحث " ، ولكي يضع الباحث مثل هذه الخطة فيجب عليه أن يقرأ قراءة موسعة لكل ما يتصل بالموضوع للإلمام به من جوانبه المختلفة على أنه ينبغي أن لا تتجاوز الخطة ١٥ صفحة بالخط المتوسط كما ورد في تعليمات عمادة كلية التربية .

إن خطة البحث المفصلة المشتملة على الخطوات التفصيلية ، والقواعد والإجراءات التي سيلتزم بها الباحث أثناء عملية البحث ، تتسم بعدة مزايا عدة أهمها:

. التقليل من إمكانية إلزام الجهات المشرفة (لجنة المسار، أو مجلس القسم، أو مجلس الكلية) طالب الدراسات العليا بأشياء إضافية ، قد تكون غير عادلة.

. التقليل من إمكانية التأويلات والتفسيرات التي تجعل الخطة خاضعة لهوى الباحث.

أولاً : عنوان الرسالة.

لابد للبحث من عنوان، وعلى الباحث أن يراعي في عنوان بحثه الأمور التالية :

. أن يكون شاملاً لما يحتويه البحث ، مانعاً من دخول غيره فيه.

. أن يكون واضحاً في مفرداته (المراد بالوضوح عند أهل الاختصاص وليس لعموم المثقفين)

. أن تتبين منه حدود الموضوع وأبعاده

ثانياً : التمهيد.(لا يوضع له عنوان مستقل داخل الخطة

والهدف من هذا التمهيد هو تهيئة ذهنية القاريء لما سيأتي بعد ذلك.

ثالثاً : التعريف بمشكلة البحث.

نقصد بمشكلة البحث (موضوعه) ، واستعملنا لفظة مشكلة ؛ لأنها تعني الموضوع الذي لا يزال مشكلة قائمة تحتاج إلى البحث

ويتم في هذه الفقرة من الخطة بيان ماهية المشكلة وأبعادها ، بمعنى آخر شرح لعنوان البحث ، مع بيان المعالم الكبرى التي سيتطرق لها الباحث .

ومما يجدر التنبيه عليه هنا أن البحث إذا كان يتعلق بأحد العلماء غير المشهورين ، فلا بد من ترجمة موجزة له توضح اسمه كاملاً ومولده ووفاته ومكانته عند العلماء .. الخ.

رابعاً : حدود البحث.

يتم تحت هذا العنوان تحديد مشكلة البحث بصورة دقيقة ، وذلك ببيان الحدود الزمانية ، أو المكانية أو ما شابه ذلك . ويستحسن أن يبرز الباحث السبب الذي جعله يحصر بحثه في ذلك المجال دون غيره أو في مكان أو مدة زمنية دون غيرهما ، وذلك حتى لا يكون التحديد لمجرد رغبة الباحث

ويدخل في الحدود إذا كان البحث يتعلق بكتاب معين ، فلا بد من تحديد الطبعة التي سيعتمد عليها ، لما لذلك من أهمية كبرى ، فقد يكون هنالك أكثر من طبعة للكتاب بينها فروق ، وقد تكون طبعة الكتاب سقيمة جداً ، أو ناقصة ، فيصبح الاعتماد عليها غير ممكن ؛ لأن ذلك سيؤثر على النتائج ودقة الاستقراء والتتبع ..

خامساً : مصطلحات البحث .

في كثير من الأحيان يظن الباحث أن بعض المصطلحات العلمية الواردة في عنوان بحثه أو خطته واضحة للقراء ، ولكن الذي يحدث يكون بخلاف ذلك ، لذا ننصح طلاب الدراسات العليا أن يحددوا المقصود من المصطلحات الواردة في خططهم ، ويزاد الأمر إلحاحاً إذا علمنا أن خطط طلاب قسم الدراسات الإسلامية تعرض على مجلس كلية التربية ، ومجلس الدراسات العليا ، وكلاهما يضمان تخصصات مختلفة ، فيكون شرح المصطلحات وتحديد معانيها مهماً جدًا.

سادساً: أهمية البحث.

يجب أن يفترض الباحث هنا أن القاريء قد لا يتفق معه في أهمية دراسة المشكلة (الموضوع) على الرغم مما تقدم ، وهذا الافتراض يتطلب منه أن يبين في نقاط محددة أهمية الموضوع ، وجدوى دراسته ، ولو لزم الأمر ذكر بعض الشواهد والأمثلة التي من شأنها توضيح ذلك ، ويمكن أن يذكر الطالب مثلاً :

. الفائدة التطبيقية المرجوة من البحث ، ومن سيستفيد منه وكيفية الاستفادة.

. الفائدة العلمية ، وتتمثل في بيان الجوانب التي يتميز بها هذا البحث عن الدراسات السابقة .. كشف القناع عن بعض التفسيرات الخاطئة.

. حل بعض المشكلات العلمية.

سابعاً : أسباب اختيار البحث.

يكتب الباحث هنا الدوافع التي أدت به لاختيار الموضوع ، ولكن من دون إسهاب وتوسع ، فيوضح مثلاً دوافعه الشخصية التي جعلته يهتم بهذا الموضوع ويختاره ، ومن الممكن أن يشير إلى ما يتوفر لديه من القدرات أو الخبرات أو الامكانات الخاصة التي تجعله أهلاً للقيام بالبحث المقترح (كأن يكون البحث يتعلق ببعض الانحرافات العقدية ، وللباحث رحلات دعوية واسعة في العالم الإسلامي ، أو أن الموضوع مثلاً يتعلق بوسائل الإثبات والباحث يعمل قاضيًا ، ونحو ذلك) ، ومن المنطقي أن يذكر في أسباب الاختيار أن الموضوع جديد لم يسبق إليه أحد من حيث العموم أو من حيث بعض الجوانب ، إذا كان الموضوع كذلك .

ثامناً : الدراسات السابقة.

يذكر الباحث في هذه الفقرة ما كتب في موضوعه ، أو في جانب من جوانبه من الرسائل العلمية : الماجستير والدكتوراه ، والكتب والبحوث العلمية ، فيذكر عنوان البحث ، واسم الباحث ، ويذكر موجزاً مقتضبًا له ، ثم يذكر جوانب النقص والقصور فيه ، مع الحرص على عدم الطعن في الباحثين السابقين أو التقليل من جهودهم.

ومن المتفق عليه عند علماء المنهجية أن من أهم عناصر خطة البحث عنصر الدراسات السابقة ؛ لأنه يعكس أمانة الباحث واحترامه للتقاليد الجامعية من ناحية ، ومن ناحية أخرى يجعل مسيرة الدراسات الجامعية متصلة الحلقات دون إهمال لجهود المتقدمين.

ومما يلزم الباحث عند عرضه للدراسات السابقة أن يبين نظراته النقدية الفاحصة في تلك الدراسات ، وذلك لكي يمكن لمناقشي الخطة أن يتعرفوا على قدرة الباحث وإمكانيته في التوصل لنتائج مهمة لم تتوصل لها تلك الدراسات ، وتتجلى أهمية هذا العرض النقدي للدراسات السابقة في أمرين مهمين :

الأمر الأول: . تفادي تكرار البحوث.

الأمر الثاني : . إيجاد المبررات المقنعة لدراسة الموضوع الذي تم اختياره .

تاسعاً : أهداف البحث.

يجب على الباحث أن يهتم جداً بدقة صياغة الأهداف في خطته، لأن غالب اللجان التي تقرأ الخطط تركز على فقرة أهداف البحث ، فالباحث يعرض في الأهداف إلى ما يسعى البحث إلى تحقيقه ، كبيان الحكم الشرعي في قضية معاصرة ، أو جمع و حصر ما تفرق في المصادر عن موضوع مخصوص مع ضرورة أن يتنبه الباحث إلى ضرورة الربط بين أهداف البحث وأسئلته التي ستأتي في الفقرة التالية .

تنبيه : (من أعظم الأخطاء أن تذكر في أسئلة البحث أو في خطة البحث كلها أي شيء يتعلق بالنتائج أو بحقائق ستسعى في بحثك لتأكيدها وتقريرها إلا أن يكون البحث يقوم على رد دعاوى المنحرفين عن الإسلام ونحو ذلك.

عاشراً : أسئلة البحث.

تتضمن هذه الفقرة ذكر أهم مشكلات البحث ، ولكن على صيغة أسئلة مرتبطة بالأهداف .

الحادي عشر : منهج البحث.

لم يحصل اتفاق بين أساتذة الشريعة في الدراسات العليا باختلاف تخصصاتهم على منهج محدد يمكن ذكره في خطة البحث ، إلا أن الملاحظ في كثير من البحوث الشرعية أنه يناسبها المنهج الاستقرائي . الاستنباطي ، ويمكن تسميته أيضاً بالمنهج الاستقرائي . الاستنتاجي .

ومن الأخطاء التي يقع فيها الكثير من الباحثين أنهم يقولون : " المنهج الاستقرائي التحليلي " وقد نبّه غير واحد من علماء المنهجية على خطأ هذا الاستعمال ، كما ستجده مرفقاً مع هذه الأوراق .

الثاني عشر : إجراءات البحث.

في كثير من البحوث تكون هناك إجراءات معينة سيتخذها الطالب ؛ لكي ينجز بحثه هي أشبه ما تكون بالخطوات المهمة التي على ضوئها سيقوم بجمع المعلومات وطريقته في عرضها ، ويدخل في ذلك مثلاً تحديد منهجه في تخريج الأحاديث والحكم عليها إذا كانت في الصحيحين وغيرهم وشرح الغريب وترجمة الأعلام ونحو ذلك .

الثالث عشر : تصور مبدئي لأبواب البحث وفصوله.

هذه الفقرة تعد روح الخطة ، وعادة ما يقسم البحث إلى أبواب بحسب الكبر ، وفي الباب الواحد فصول ، وفي الفصل مباحث ، وفي المباحث مطالب وهكذا . ومن الأمور التي ينبغي مراعاتها عند التبويب :

. لابد من الترابط بين عنوان الموضوع وأبوابه، وبين أبوابه وفصوله، وهكذا حتى يظهر أن البحث كتلة واحدة مترابطة الأجزاء ، ولو غيّرت موقع باب أو فصل شعرت بالاضطراب وعدم التناسق والانسجام ؛ ولهذا

ينبغي على الباحث أن يسأل نفسه عند وضع الأبواب والفصول والمباحث : لماذا أضع هذا الباب أو الفصل هنا ؟ وما وجه العلاقة بين هذا الفصل وعنوان الباب ؟ وهكذا.

. يراعى في ترتيب الأبواب والفصول والمباحث أن تكون على أساس التسلسل العقلي ، أو الناحية الزمنية ، أو بحسب الأهمية ونحو ذلك

. ينبغي أن تكون عناوين الأبواب والفصول والمباحث شاملة لما تحتويه ، مانعة من دخول غيرها فيها.

. يراعى في العناوين أن تكون واضحة في دلالتها على المراد منها.

. يراعى في العناوين أن تكون قصيرة بقدر الإمكان.

. لابد لكل باب وفصل ومبحث من عنوان ، و يخطئ من يضع باباً بدون عنوان ويكتفي بقوله مثلاً الباب الأول فقط.

. كثرة التفريعات قد تشتت القارئ ، لذا ننصح الطلاب بأن تكون تقسيماتهم للأبواب والفصول وغيرها بقدر الحاجة وأن تكون واضحة وميسرة ، حتى يتسنى للقارئ الاستيعاب بيسر وشمولية وننصح الطلاب حين يبدءون في كتابة أبواب بحثهم وفصوله أن يطلعوا على رسائل [ماجستير ودكتوراه]عديدة ؛ ليستفيدوا من هيكلة الأبواب والفصول فيها ، على أن تكون تلك الرسائل في تخصصهم ، وتكون من الرسائل الجيدة الحائزة على التقدير والإعجاب والثناء ، وأن تكون في موضوعات قريبة من موضوعهم حتى تكون الخطوط العريضة متقاربة ويتحقق النفع في الاسترشاد وليس التقليد ، فإن لكل موضوع طبيعته الخاصة

الرابع عشر : المراجع.

على الطالب أن يذكر في آخر خطته أهم المصادر التي رجع إليها، وعثر فيها على المادة العلمية التي ساهمت في إعداد الخطة، وذلك ليدلل على وفرة المعلومات التي سيبني بحثه عليها ، ولن تكون القائمة كاملة ، لكنها تكفي لتكوين الانطباعات الأولى لدى القسم المختص ومجلس الكلية.

معايير الخطة الجيدة.

. أن تكون الخطة مفصلة على المشكلة المراد دراستها ، بحيث لو أنك غيّرت عنوان الموضوع تشعر بنوع من النشاز بين مفردات الخطة والعنوان الجديد . أن تعطي الخطة تصوراً واضحاً عما سيكون عليه البحث عقب التنفيذ ليس من حيث النتائج ولكن من حيث الترابط والاتساق في المضمون والتقسيمات . يمكن لشخص آخر تنفيذ الخطة دون أن تختلف النتائج العامة كثيرًا ، ويتحقق ذلك بأن تكون فكرة البحث واضحة

من حيث ما يدخل في نطاقه وما لا يدخل فيه . التوثيق الدقيق للاقتباسات ، ولا بد أن يكون في الخطة شيء من ذلك.

. ضبط أسماء الأعلام وخاصة إذا كانت الخطة في دراسة منهج أحد الأئمة . الوضوح والدقة في صياغة التعريف بمشكلة البحث وحدوده وأسئلته

٧. أن يتجلى فيها قدرة الطالب على الإقناع بجدوى بحثه.

الملاحظات المتكررة على الخطط : من أهمها:

شكل الغلاف الخارجي بحيث لا يحتوي على زخارف لا داعي لها ، وكذلك ينبغي الالتزام بالمسميات الرسمية (ماجستير الآداب .....) ورقم الطالب واسم المشرف ... الخ

الالتزام بالعناصر الأساسية المطلوبة في كل خطة، والموجودة في نموذج الدراسات العليا.

ضرورة ربط أسئلة الدراسة بالأهداف بشكل مباشر.

أن يبتعد الطالب أو الطالبة عن أسلوب الحديث عن الذات في خطته.

أهمية العناية بالدراسات السابقة مع عدم الإسراف في نقدها، وكذلك عدم الإطالة المبالغ فيها ، وليس من مقتضيات الدراسات السابقة أن يسرد الباحث فهرس موضوعات الرسالة السابقة ، ومما ينبغي العناية به أن يوضح الطالب كيف سيستفيد من الدراسات السابقة في بحثه ، كما أنه ينبغي أن لا تقتصر الدراسات السابقة على الرسائل الأكاديمية فقط ضرورة وجود اقتباسات موثقة داخل الخطة ؛ ليتبين مدى استفادة الباحث من مراجع الخطة ..

أهمية الالتزام بذكر بيانات المراجع كاملة من حيث عنوان الكتاب ، واسم المؤلف ، واسم دار النشر ، ورقم الطبعة ، وتاريخها ، ومكانها ، وذلك في آخر الخطة .

يعلن لعموم الطلاب عن ضرورة أن يُسلّم كل طالب الخطة المقدمة بعد تعديلات مجلس القسم على قرص مرن.

فقرة (إجراءات الدراسة) تعني (الخطوات العملية للبحث) ، والملاحظ أن كثيراً من الطلاب يغرقون في ذكر بعض التفاصيل التي تعد من مسلمات أي بحث علمي ، وتوصي اللجنة بوضع قائمة تحدد فيها بعض الأمور التي هي من أساسيات أي بحث مثل(تعريف الأعلام ، شرح المصطلحات ، شرح الغريب ، عزو الآيات .....) ، وتختلف الفهارس بحسب التخصصات لاحظت اللجنة أن الموضوعات المشتركة(كتحقيق أكثر من طالب لمخطوطة واحدة) لا يراعى في كثير من الأحيان ضرورة عدم التشابه والتطابق بين خطط

الطلاب ، وتوصي اللجنة بضرورة التدقيق في المقدمات الدراسية في الخطط المشتركة من حيث التقسيم على الطلاب ، كأن يأخذ أحد الطلاب ترجمة المؤلف ، ويأخذ طالب آخر مكانة الكتاب وأهميته . كما توصي اللجنة بضرورة أن تبرز الفروق وبصورة واضحة في المقدمات الدراسية ، ومن الممكن أن ينظر في إمكانية اختيار بعض المسائل التي تضمنها المخطوط مثلاً ، فيقوم الطالب بدراستها ، بحيث يتميز كل طالب عن الآخر ببعض الأمور..

مناهج البحث العلمي

يشكل البحث العلمي أهمية كبيرة بالنسبة للكثير من الدول كونه يعد من أفضل الطرق التي يعتمد عليها في التطوير و التميز في شتى المجالات و يسعى البحث العلمي لتحقيق عدة اهداف ،و يقدم الكثير من الفوائد بالنسبة للباحثين ،و للمجتمع ككل ،و من خلال السطور التالية لهذه المقالة سوف نوضح تفصيلاً أهداف ،و أهمية البحث العلمي بالنسبة للباحث ،و للمجتمع فقط تفضل عزيزي القارئ بالمتابعة.

أولاً البحث العلمي ،و أهميته في الوقت الحاضر .. يعتبر البحث العلمي وسيلة هادفة إلى وصف حالة ما و تفسيرها تفسيراً دقيقاً ،و تحتاج الكثير من الدول خاصة الدول العربية في ظل التطورات المتلاحقة التي نشهدها هذه الآونة إلى البحث العلمي من أجل التوصل النتائج ،و معلومات دقيقة ،و زيادة المعرفة ،و تدعيم التفكير الإبداعي لدى أبناء هذه الدول بجانب ذلك أيقنت الدول العربية أنها بحاجة شديدة إلى التخلص من غياب الوعي لدى بعض أبنائها ،و أن الوسيلة التي قادت الدول المتقدمة للتخلص من ذلك هي البحث العلمي حيث يشكل البحث العلمي أهمية كبيرة بالنسبة للباحث الذي يقوم به ،و يعود أيضاً بالنفع على المجتمع ككل ،و يعتمد البحث العلمي بشكل رئيسي على الدراسات السابقة التي تعطي الباحث نظرة عامة ،و شاملة عن الأوضاع السابقة ،و من ثم تقوده إلى التوصل إلى نتائج تمتاز بدقتها.

ثانياً ما هي أهداف البحث العلمي .. يسعى البحث العلمي إلى تحقيق عدة أهداف أبرزها الآتي

***فهم كافة الظواهر سواء ان كانت اجتماعية أو اقتصادية أو غير ذلك وإدراكها ادراك صحيح.**

***يسعى لتفسير الوضع الحالي جيداً و يحاول التنبؤ بالمستقبل.**

***القيام بالسيطرة على الأوضاع ،و ضبطها.**

***السعي وراء الحقائق ،و محاولة اكتشافها.**

***العمل على تطوير المعارف ،و الأوضاع الحالية ،و الارتقاء بها**

أهم مناهج البحث في دراسة اللغة:

عندما ينظر الناظر في موضوع مناهج البحث في اللغة يجدها متنوعة بتنوع النشاط الإنساني لكأننا عندما نتناول هذا الموضوع ندرس المجالات التي ينشط فيها هذا الموجود العقلاني إن مناهج البحث في اللغة عادة يجب أن تصب على المسألة اللغوية ، بما في ذلك تحليل الظواهر اللغوية ، وعلاقتها بالصواب والخطإ على المستويين:المستوى الصوابي الاجتماعي ، والمستوى الصوابي الدراسي ، لكن الباحثين لم يقفوا عند هذا الحد وأدخلوا مواضيع أخرى في مناهج البحث في اللغة.

1- المنهج الوصفي :

هو منهج يتناول الظواهر اللغوية ، سواء منها ما يتعلق بالحرف أو بالصوت أو بالتراكيب أو بالصرف أو بالمعجم أو بالبيان والدلالة ، وحسب تقديري فأن هذا المنهج هو الأكثر قدما ، وهوالذي ساعد على انتشار اللغة السليمة الواحدة بين المجتمعات ، خاصة وأن هذا النتقل صاحبه اختلال في توازن الكلام بين ألسنة المجتمع الأصل وألسنة المجتمع المنتقلة إليه هذه اللغة حديثا ، فالمسألة إذن ، فرضتها الحاجة إلى إصلاح الألسن وتطويعها للنطق السليم ، فلا أظن أن هناك لغة ولدت وتطورت بقواعد لظواهرها اللغوية، إن اللغة تصنع علومها ، وهي أي اللغة سابقة إلى الوجود عن قواعدها، ولو اعتبرنا أن قواعد اللغة جزء من اللغة وضرورة لقيامها، لاعتبرنا أن اللغة العربية لم تكن كاملة عندما نزل بها كتاب سماوي ، هو القرآن الكريم إن اللغة العربية نطقت بها أصوات هذا الكتاب قبل أن يتناولها المنهج الوصفي ، وعندما تناولها البحث والإستقراء لم يرس هذا المنهج على رأي واحد فظهرت هناك مدارس ، أهمها مدرستا : البصرة والكوفة.

إن البحث الاستقرائي لتقعيد اللغة العربية كان في القرن الرابع الهجري وهو "عصر سلطان القواعد وغلبتها " ، أما الزمن الذي أخذت منه العينات فيبدأ "من حوالي ١٥٠(مائة وخمسين) عاما قبل الإسلام وينتهي بما يسمونه عصر الاحتجاج أي ما يقرب ثلاثة قرون من تاريخ العرب "، والقبائل التي أخذ منها هي قبائل : قيس وتميم وأسد، ثم هديل وكنانة وبعض الطائيين.

إن أقدم ظهور للمنهج الوصفي كان في الهند، ووجد في كتاب بانيني(٣٥٠ ـ ٢٥٠ ق م)

وهو"يشمل ترتيبا منظما للنحو والصرف والمعجم"، وهو الذي يبين فترة النظج في الدراسات النحوية عند الهنود والذي سماه صاحبه : "الأقسام الثمانية"،"ويمثل كتاب بانيني النحو اليوناني في تحديد أقسام الكلام وتجدر الإشارة إلى أن التفكير اللغوي قد ارتبط بالفلسفة عندااليونان حوالي القرن السابع ق م ، ورغم ذلك فلهجات الهنود كانت موجودة قبل ٣٥٠ قبل الميلاد لألاف السنين.

إن المنهج الوصفي صنعته الحاجة إلى تفادي الخطأ وهو يتأخر دائما عن تاريخ وجود لغته..

2. تمنهج المعياري.

هذا أيضا فرضته تجارب المجتمع ، وهو يتناول المستوى الصوابي الاجتماعي مخالفا للمنهج الوصفي الذي يراعي المستوى الصوابي في مجال البحث التقعيدي في اللغة ،وحسب تقديري أيضا، فإن حقل المعيارية في اللغة أعمق وأشمل من حقل الوصفية، ومرد ذلك إلى كون المجال المعياري يتجاوز اللفظ والصوت ليشمل تراكمات تاريخية ،اجتماعية ، دينية ، نفسية سياسية وغير ذلك، فاللغة تتطور وسط هذه التراكم بطريقة خفية لايحس بها المتكلم نفسه ، فكم من عبارات وجد الإنسان نفسه يتفوه بها وهي لست من لغته الأصلية ، إنما هي دخيلة أتت وسط تيار تاريخي لمجتمع ما ، فكم من كلمة أجنبية أدخلها دخيل فاتح أو مستعمر، وتم إدماجها في الغة الأصلية ، فعدد كبير من الكلمات العربية والفرنسية والاسبانية تم تمزيغها مثلا ،بل فد لاتجد البديل لها في اللغة الأمازيغة الأصلية ، وأسوق مثالا آخر،وهو الذي يتمثل في كلمة"آمين"التي تنطق بها كل المجتمعات المتدينة بدين سماوي (المسلمون . المسيحيون . اليهود) فالكل يقول آمين ، عند انتهاء صلواته وأدعيته ، وفي كل بقاع العالم ، لكن لاأحد يناقش أصل هذه الكلمة "آمين" بل الكل يحاول أن يجد لها موضعا في لغته الأصلية ليسحب عليها قوانين القواعد اللغوية الموضوعة للغته ، فالعرب يقولون : إن هذه العبارة تعرب"إسم لفعل الأمر،بمعنى: "استجب يارب"، وتعتبر هذه العبارة جزء من الدعاء في باقي الديانات السماوية الأخرى . وأمثلة كثيرة تدل على أن المعجم يقبل الكلمات الدخيلة من مثل كلمات فارسية موجودة في القرآن الكريم،(= سندس . استبرق) المتواجدة في سورة الإنسان ، إن دل هذا على شيء ، فإنما يدل على أن اللغة لاتصنع وراء الكواليس ، كما يفعل البعض باللغة الأمازيغية ،إذ يذهبون بعيدا إلى مجاهيل الطوارق ليأخذواعبارة ما ليقولوا هكذا نقول وليس هكذا ، ولهذا يعتبر المعجم اللغوي حالة فريدة في اعتبار كل كلمة نطقت بها الألسن وألفتها الآذان ،هي كلمة مقبولة شكلا ومعنى، والمعجم هو الحالة الواحدة والوحيدة التي يسمج المنهج الوصفي بتنوعه وتغييره ، فكلمة تولد دون أن نحس بها، وأخرى تموت دون أن نحس بها كذلك' خذ مثلا الكلمات: المولى (= من الموالي) . الهزبر . حمام الزجل . الأزلام ، كلها ماتت ولا نجدها إلا في كتب تاريخ الأدب واللغة ، فولدت عبارات أخرى مثل: البريد الإكتروني . الساعة النبهة . الهاتف النقال . سيارة ذات الدفع لرباعي، كل هذه العبارات لو نطق بها في القرون الماضية لتم اعتبار ذلك من قبيل الكلام اللغو، والسبب راجع إلى أن المعيار اللغوي قد تغير بتغير حال الإنسان.

ومن مراعاة المعيارية أيضا، عنصر الجمال في الكلام ، فكلما كان الكلام ذو حمولة تاريخية

كان جميلا ،والعكس،يفقد الكلام صبغة الجمال،إذا كان كلاما سطحيا ، كما أن التعابير الإستعارية والمجازية ،هي أعمق أثرا من التعابير السطحية، فالعرب يقولون قديما:"أعذب الشعر أكذبه "وبهذا يعتبر الكلام السطحي غير ذي مذاق في المجالس الأدبية.

فالنستمع لحافظ إبراهيم "يعير صديقه،محجوب ثابت،بعدم مراعات المستوى الصوابي في مخاطبة الناس يرغى ويزبد بالقافات تحسبها قصف المدافع في أفق البساتين

فكل قاف كأن الله صورها من مارج النار تصوير الشياطين

فكل سلوك لغوي لابد أن يكون له مسطرتان : المسطرة اللغوية ويعالها المنهج الوصفي، والمسطرة الاجتماعية ويعالجها المنهج المعياري ، بالإضافة إلى مقامات اللغة ذات الحمولات المختلفة التي تكون أنواعا أخرى من مناهج البحث اللغة.

3- المنهج التاريخي.

هذا المنهج يفرض نفسه من باب تاريخانية الإنسان وحركيته ، ومن تاريخ اللغة التي هي جانب من تاريخ الإنسان نفسه ، وما تاريخ الإنسان إلا الحصاد المعقلن للسانه، و بمعنى مساهمة اللغة في صناعة التطور في عجلة التاريخ الإنساني، ولذلك يطلق أحيانا على هذا المنهج : منهج الوصف التاريخي. "

يعالج المنهج التاريخي تطور اللغة البشرية على بعدين : البعد الأفقي ويعالج تطور اللغة التلقائي من حيث أنه ، أي ذلك التطور، يتغير من جيل لآخر، ومن زمن لآخر، فتموت كلمات وتولد أخرى ، وما موت تلك وولادة هذه إلا نتيجة التطور البشري ، حيث تولد أفكار جديدة وآلات جديدة أو يتم فرض عبارات جديدة يدخلها دخيل ما ، أو لضرورة علمية ، وبالمقابل تموت أونتسى عبارات يتم الاستغناء عنها لذهاب فائدتها ، وحيث أصبح معناها لا يدل على شيء . ويجدر بالذكر أن نقاش تطور العبارات وأسماء المسميات " ربما كان من أهم المشاكل التي لفتت أنظار اليونانيين ، وهل هي أمر طبيعي أو عرف ناتج عن اتفاق البشر..فتطور الأمر بعد ذلك ليصل إلى أيدي القياسيين والشذوذيين، فقال الأولون: إن اللغة فطرية وقياسية ومنطقية ، وقال آخرون إن عدم اطراد اللغة دليل على بطلان الرأي الأول"، والمنهج التاريخي للغة لايبحث تاريخ تطور المفردات المعجمية فحسب، بل يتناول أيضا تطورنظامها التقعيدي، فاللغة، كما أسلفت ، تصنع قواعدها، فالمسطرة التقعيدية الي كانت تقاس عليها العبارات الأصلية ربما تتغير بتطور العبارة وتفكيكها ، خذ مثلا كلمة " الماء" وهي عربية ، قد يعبر منها في القاموس العلمي الجديد بكلمة: أوكسجين

وهيدروجين ، فنقول : يتكون الماء من الأوكسجين والهيدروجين، ومن لم يفعل فقد لغى، ومن لغل فلا لغة له.

ومع أن الكلمات التي ليست من العربية، يقال عنه "مبنية " كما هي كلمة ، آمين، المذكورة آنفا ، فإن نظام القواعد التراكبية قد تطور لتقاس عليه كلمات دخيلة وشاذة أحيانا كعبارات "أدلجة "و "أجندة " فتخضع للفاعلية ، والمفعولية ، والتثنية ، والجمع ، والأمثلة كثيرة تتجاوز مقام هذا المقال المتواضع

كما يتناول المنهج التاريخي أيضا أصل اللغات واللهجات وعائلاتها وهجرة العبارات عموديا من زمن لآخر، وأفقيا من جغرافية لأخرى، بل وهناك كلمات عالمية موحدة ينتطق بها جميع سكان العالم مثل: كلمة :آلو . التي ولدها التطور العلمي.

4ـ المنهج المقارن.

ويبحث المنهج المقارن لغتين لهما أصل واحد، ويقارن بينهما، كالعربية تقارن مع العبرية مثلا، حيث يوجد تقارب كبير بينهما في الصيغ الكلامية ومفاهيمها، ويجدربالذكر أن صيغة المثنى لاتوجد إلا في هاتين اللغتين ، أما في لغات العالم فنجد المفرد والجمع فقط، ولا تثنية في اللغات ذات الأصل اللاتيني أو الإفريقي،أو الأمريكي أو الآسيوي، والمثنى ميزة تتميز بها اللغتان: العربية والعبرية، ويزيد علماء أصول الفقه في العلوم الشرعية الإسلاية صيغة، في اللغة العربية،أطلقواعليها:مفهوم المخالفة، وهي تستمد شرعيتها من النصوص التشريعية الإسلامية التي تحوي صيغا لايفهم فحواها إلا الراسخون في علم أصول الفقه الإسلامي.

ومن أمثلة اللغات التي يمكن بحثها بالمنهج المقارن:اللغات الأوروبية ، واللغات الآسيوية 'واللغات الهندية ، ولغات وسط إفريقيا ، وغربها ،وشرقها ، إذ أن كلا من هذه اللجهات، توجد بها لهجات مختلفة يجمعها أصل واحد ، ونفس الشيء فيما يتعلق باللغات الأصلية الأمريكا اللاتينية أو الشمالية ، ويمكن أن ينسحب المنهج المقارن أيضا على لهجات اللغة الأمازيغية المختلفة بين أمازيغ شمال إفريقيا..

.....

5ـ المنهج التقابلي.

ويبحث لغتين متباعدتي الأصل ،كالعربية والأمازيغية مثلا ومحاولة نقل المعنى من لغة لأخرى،ولقد ذكر المهدي المنجرة أن" في المغرب كان القرآن مترجما إلى الأمازيغية، وهو الأمر الذي يعتبر الآن بدعة " كما يبحث هذا المنهج الأصول الإشتقاقية للكلمات المتقابلة في الوزن والمعنى، مثل عبارة "هرولة"من

فعل"هرول" في العربية تقابله في الأمازيغية "يرول "بمعنى "هرب "، ولكلا الكلمتين معنى متقارب مع معنى الكلمة المقابلة ، والقاسم المشترك بينهما هو دلالتهما على المشي بسرعة متوسطة، والفرف بينهما هو أن كلمة"هرولة" في العربية لها معنى واحد ووحيد،و"يرول "في الأمازيغية قد يأخذ معاني مجازية عديدة.

هذه بعض مناهج البحث في اللغة ، وهناك مناهج أخرى متعددة ، تولد كلما استعانت اللغة بعلم من العلوم، كعلم جغرافية اللغة الذي يدرس تتبع اللغة من جغرافية لأخرى، وعلم اللغة التربوي الذي يدرس لغة الطفل في النشإ والمدرسة ، وعلم اللغة الإنتربولوجي، وعلم اللغة الفلسفي ، إلخ

أتوجّه بخالص الشكر والتقدير لجميع الزملاء والأساتذة وأصحاب البحوث والكتب من المتخصصين في العلوم اللغويَّة المنشورة الذين أفادتْ علومهم مادة هذا البحث لتقديمه لطلاب [قسم اللغة العربيّة] بصورة واضحة... أفدتُ منها شخصياً ، ويفيد منها طلابنا .

فهرس الكتاب

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٤-٩
الفصل الأول : **مفاهيم ومصطلحات** ، **مصطلحات لغوية**	١٠-٣٢
الفصل الثاني : اللغة عند علماء اللغة والاجتماع والنفس والمنطق والفلسفة	٣٣-٦٠
الفصل الثالث: فقه اللغة علم العربية وجهود علماء العربية	٦١-٧٥
الفصل الرابع : علم اللغة (بحوثه – فروعه – مناهجه ومستوياته	٧٦- ١٠٦
الفهرس	١٠٧